

د. شحاتة صيام

العنف والخطاب الديني في مصر

يسروا ولا تعسروا
وبشروا ولا تنفروا

العنف والخطاب الديني
في مصر

الكتاب : العنف والخطاب الدينى
فـــى مصـــــر
الكاتب : د. شـــحاته صـــيام
الطـــــبعة الثانيـــــة ١٩٩٤

الناشـــــر : ســـينا للنشـــر
المدير المسؤول : راويــة عبد العظيم

١٨ ش ضريح سعد – القصر العينى –
القاهرة – جمهورية مصر العربية –
تليفـــون / فاكـس : ٣٥٤٧١٧٨ / ٢٠٢٠

الغــــــلاف : منـير الشـعراني
الاخراج الداخلي : إيتــاس حســني
الصـــــــف : ســينا للنشــر

د. شحاتة صيام

العنف والخطاب الديني في مصر



إهـــداء

إلـــى مصـــر

دامـــت ووقـاها اللــه الشـــرور

«.... إن ما يُسمَّى بالحروب الدينية فى القرن السادس عشر.. تعدُّ فى الوقت ذاته نوعًا من النضالات الطبقيَّة....»

تمهيد:

تُعدُّ ظاهرة العنف من الظواهر القديمة التى ارتبطت ببدايات التاريخ. أو بقول آخر، لقد ارتبط العنف بقصة نشأة الكون، كما وُجدت فى الأساطير والخرافات. وإذا كان العنف قديمًا قد ارتبط بوجود أفراد، أو حتى جماعات متصارعة، فإنه فى الوقت الحاضر أخذ يتستر وراء مؤسسات أو أيديولوجيات تكتسب قبولاً واضحًا فى المجتمع، الأمر الذى جعله وسيلة مستحدثة للصراع الاجتماعى فى إطار الواقع المعاش.

لقد شهدت المجتمعات الإنسانية فى مختلف مراحل تطورها كوكبةً من أنماط العنف، الأمر الذى يدفعنا إلى القول إن العنف كان - ولا يزال - يمثل أحد المكونات الرئيسية لتطور السياق التاريخى للبشرية. إن الوقائع التاريخية تدلُّنا على أن العنف يعدُّ وسيلةً من وسائل الصراع الأيديولوجى، سواء بين الدولة والجماعات السياسية التى تهاجم شرعيتها، أو بين جماعات سياسية وبعضها بغرض فرض إحداها سيطرتها، أو تكريس كينونتها على صعيد الواقع السياسى.

إن استخدام العنف يعدُّ استخداماً محسوبًا من أجل الوصول إلى أهدافٍ سياسيةٍ أو دينيةٍ أو أيديولوجية. أو بمعنى آخر، إنه ما يصدر عن «الجماعات النائبة» التى تنوب عن الجماهير فى تصعيدها للعنف أو التمرُّد، لإزاحة النظام الحاكم، واحتواء الواقع الاجتماعى من خلال رؤية نظرية محددة.

وإذا كان المجتمع المصرى طوال تاريخه الألفى ، قد عرف مجموعةً من صور العنف المختلفة، فإنه اليوم يشهد تعاظم هذه الظاهرة التى تتمظهر فى تصاعد موجات العنف الدينى. لقد أضحى العنف الدينى فى هذه الآونة ظاهرةً «جدّ» خطيرة، إذ راح ضحيته نفرٌ ليس قليل، سواء على صعيد الجهات الأمنية، أو على صعيد الجماهير، أو حتى على صعيد أفراد الجماعات الدينية الممارِسة للعنف.

لقد مُنى المجتمع المصرى نتيجةً لتنامى هذه الظاهرة بالعديد من الخسائر المادية والمعنوية، تلك التى عبَّرت عنها بوضوح الأحداث الأخيرة لضرب السياحة، واغتيال ضباط الشرطة والوزراء. إن المتتبِّع لأحداث العنف الدينى، منذ عام ١٩٨١ حتى عام ١٩٩١، يستطيع أن يستدل على مجموعةٍ من الأحداث العنيفة والمتلاحقة التى أتت بها الحركة الدينية على الساحة المصرية. وبقول آخر، لقد شهد المجتمع المصرى فى الفترة الأخيرة – أى منذ بداية ولاية الرئيس مبارك – مجموعةً من أعمال العنف، تلك التى راح ضحيتها نحو ٤٥٠ قتيلاً، وحوالى ١٠٥٠ مصاباً. إن متابعة أحداث العنف الدينى – السياسى، خاصةً فى العام الأخير (أى من يوليو ١٩٩٢ حتى

يوليو ١٩٩٣) ، يستطيع أن يكشف عن حدوث نحو ٢٣٩ حادثًا، بينما بلغ حجم الحوادث منذ عام ١٩٨٦ حتى عام ١٩٩٠ نحو ٤٥ حادثًا .

وحريٌ بنا أن نشير إلى أن تزايد أحداث العنف التى شهدها المجتمع المصرى أخيرًا، يعد نتيجةً حاسمةً للمواجهة بين ما يُسمى بالعنف الرسمى (الدولة) والعنف غير الرسمى (الجماعات الإسلامية) . وإذا كان العنف الرسمى يتمثل فى عمليات الاعتقال، وأحكام وأوامر الإعدام، والأحكام بالحبس، والملاحقة والمطاردة، والسجن والجلد، فإن نظيره غير الرسمى يتمثل فى محاولات الاختطاف، والاغتيال، والشغب، والتمردات، وَالتظاهر، والتخريب، والتصفية الجسدية، والاعتداء المسلح، والاختراق والإغارة والكمائن. إن العنف الذى يعيش المجتمع المصرى بين رحاه الآن، ما هو إلا رد فعلٍ على العنف المؤسسى الذى تصنعه الدولة وتنفِّذه.

إن حوادث العنف التى تصدر عن الجماعات الدينية تكشف عن تسييس واضح للدين. إن صدور سلسلة أعمال العنف بالغة الحدّة ضد السلطة ورموزها، تعدُ فى تصورنا نوعًا مما يسمى بإعادة إنتاج الصراع الاجتماعى Reproduction of social confilict، تلك التى تسمح ببروز وتنامى وصياغة الوعى الاجتماعى لجماعةٍ مناهضةٍ ورافضةٍ لمعايير وأسس النظام القائم وفق رؤيةٍ دينيةٍ محددةٍ .

إن إعادة إنتاج الصراع الاجتماعى من خلال المواجهة بين الدولة والجماعات الإسلامية، أو ما نسميه هنا «بالجماعات النائبة» ، يعدُ نوعًا من الصراع الطبقى - الاجتماعى فى إطار مجتمع قهرى - سلطوى، يسعى إلى إزاحة الأولى من خلال الثانية. أو بقول آخر، إن الأولى - أقصد الدولة

- تسعى إلى تأييد سيطرتها من خلال القضاء على الثانية - أقصد الجماعات الإسلامية - التى تسعى إلى دحض مشروعيتها. ويجدر أن نشير فى هذا الإطار إلى أن العنف الذى يصدر عن الجماعات النائبة، ما هو إلا عنف قطّاعى، وليس بالجُملة (الثورة)، الأمر الذى يجعلنا نصوِّره بأنه عنفٌ ناقصٌ، أو هو بالأحرى نوعٌ من القصاص ضد الدولة ورموزها، وتحوُّلٌ من الوعظ والكلمة إلى البارود .

مقدمة

نظرية ومنهجية

مقـــدمة:

تحتل قضية الدين موقعًا متميزًا على صعيدى الفكر والممارسة فى المجتمعات الإنسانية. إن تناول الدين بالدراسة والبحث لا يعنى أننا سنتناول العقيدة أو الإيمان المطلق بالغيبيات. إننا سوف نهتم كل الاهتمام بمختلف أنواع الوعى والممارسات الاجتماعية، وبشكل خاص فى مضمار السلطة والنظام الاجتماعى. ومن المهم أن نوضح أن ثمة تعسُّفًا حينما نفصل بين العقيدة الدينية والتجليات والممارسات العملية، لأن كلاًّ منهما وجهان ومظهران لعملةٍ واحدةٍ ألا وهى الصراع الطبقى الاجتماعى. فالسياسة ترتكـن علـى الديـن وتأخـذ مـنه سـندًا وجـدانيًا وأخـلاقيًا لأيديولوچيتهـا الاجتماعية التى تعمل من أجل تأبيدها وسيطرتها، كذلك يستند الدين على السياسة، ويعتبرها آليةً لنشر مقولاته وتدعيم وجوده. لذا يمكن القول، إن الدين هو روح الممارسة، كما أن الممارسة تعدُّ بمثابة جسد الدين.

إن تناولنا هنا للدين لا يعنى أننا نستخدمه وفق معناه المقدَّس (*)،

(*) ثمة تباينات واضحة بين ما هو مقدس Holy وبين ما هو غير ذلك. كما أن هذه القداسة تختلف من شعب إلى آخر. والواقع أن الشئ الموصوف بالقداسة ليس هو فى ذاته، ولكن طبيعة المشاعر والاتجاهات هى التى يُخلع عليها صفة التقديس. لذا يمكن القول إن التقديس هو اتجاه عقلى انفعالى، وهو الذى يجعلنا نميز بين ما هو مقدس وما هو دون ذلك. فالمقدس هو الشئ المفضل لدى الجماعات الإنسانية دون النظر إلى النفع =

بقدر ما نتناوله كظاهرة لتسييس الدين، واعتباره حركةً اجتماعيةً تعبر عنها مجموعات منظمة. فإذا كان الدين يعدُّ أحد العناصر الرئيسية فى إثارة الحركات الاجتماعية التى تسعى إلى تحقيق إنجازات معنوية، فإن تسييس الدين يمثل استجابةً لدلالات أيديولوجية، ولظروف اجتماعية واقتصادية وسياسية على الصعيدين المحلى والعالمى. إن الجماعات الإسلامية التى تطرح نفسها على صعيد الواقع الاجتماعى، خرجت علينا بمجموعةٍ من المفاهيم، أبرزها الصحوة الإسلامية، وحركة التجديد الإسلامى، والانبعاث الإسلامى والنهضة الإسلامية(*) .

ويهمُّ أن نشير إلى أن الجماعات الدينية التى تعدُّ فى الآونة الأخيرة من الظواهر المثيرة للانتباه، لها تأثير دينى واجتماعى على المجتمع فى

= الذاتى. وهو فى الوقت نفسه لا يتم عن طريق التجربة الحسيَّة، ويغلف ببعض الاهتمام والتقديس. وفى هذا الإطار ينبغى أن نفرق بين ما هو مرئى وما هو غير مرئى فى التقديس. فإذا كان المرئى أو الملموس أو المادى يعتمد على الحس، فهناك المقدس غير المرئى الذى لا يعتمد على الحس، ولكن يعتمد على المشاعر. أى يصبح مكان التقديس هو العقل لا التفكير العلمى. انظر : محمد أحمد بيومى، علم الاجتماع الدينى، دار المعرفة الجامعية، الطبعة الأولى، الإسكندرية ١٩٨١، ص ٢٠٠ .

(*) يعدُّ مفهوم الصحوة الإسلامية من المفاهيم الحديثة التى أطلقتها الجماعات الدينية للتدليل على ما تضطلع به من أجل الإتيان بالدولة الإسلامية. إن الجماعات الإسلامية التى تعمل فى ميدان الصحوة الإسلامية أو الانبعاث الإسلامى...إلخ من المسميات، تحاول أن تضفى على نفسها مصطلح الثورة الإسلامية باعتبار أن النضال والجهاد من الأعمال الثورية. ولما كان مفهوم الثورة الإسلامية يجعل هذه الجماعات عرضةً للمساءلة القانونية حيث تغيير نظام الحكم بالقوة، لذا فإنها دائماً ما تحاول التعامل مع مصطلحات الصحوة أو الانبعاث أو النهضة الإسلامية. =

الوقت ذاته. فبيد أن طابع ووظيفة هذه الجماعات يعدُّ عاملاً مؤثرًا فى الواقع الاجتماعى، فإنها تبتعد عن الاهتمام الدينى الجاد، إذ تأخذ من الصراع طريقًا لنقد النظام القائم، ومن ثَمَّ تغيير المجتمع. فإذا كان الصراع هو توءم الحركة الاجتماعية، فإن الصراع هو رفيق ومتمٌم نشاط الجماعات الدينية(١) .

لقد استبدلت الجماعات الدينية الصراع الطبقي بالدين، كما أنها فى سبيل ذلك ترتكن إلى الأفكار السلفية، وتكون الأخيرة بمثابة وسيلة ناجزة لتغييب الواقع. وبناءً على ذلك يمكن القول إن هذه الجماعات مَنحت الأولوية للعامل الأيديولوچى الدينى فى مجتمع تستند أسسه بشكلٍ كاملٍ على الدين، ولم تتطور فيه أنماط الإنتاج وأدواته بحيث تفرز وعيًا طبقيًا كاملاً، الأمر الذى جعل الصراع يطغى عليه الشكل الأيديولوچى الدينى(٢) .

ومن الأهمية بمكان أن نشير هنا إلى أنه كما تتباين السياسات، تتباين أيضًا الممارسات والتجليات الدينية، فهناك من يدافع عن السلطة

= حول هذه التسميات يمكن الرجوع إلى :

- محمد أحمد خلف الله : «الصحوة الإسلامية فى مصر»، فى : إسماعيل صبرى عبد الله «محررًا»، الحركات الإسلامية المعاصرة فى الوطن العربى، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى ، بيروت، ١٩٨٧ .

- رفيق حبيب، الإحياء الدينى : ملف اجتماعى للتيارات المسيحية والإسلامية فى مصر، الدار العربية للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٩١ .

(١) رفيق حبيب، الاحتجاج الدينى والصراع الطبقى فى مصر، دار سينا للنشر، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٨٩ .

(٢) مهدى عامل، نقد الفكر اليومى، دار الفارابى، بيروت ١٩٧٨، ص ١٠٩ - ١١١ .

الحاكمة القائمة، وهناك من يبرِّر هذه السياسات، بل قد يكون شريكًا فى السلطة ذاتها. وأيضًا نجد ممارساتٍ دينية ضد السلطة القائمة وتسعى إلى دحض مشروعيتها، وإقامة سلطة أخرى غيرها(١) .

وجدير بالتوضيح أن ثمة تعددًا فى تأويل الدين، كما أن هذا التأويل يمثل تنوُّعًا فى القوى الاجتماعية التى تمارسه. إن هذا الاختلاف والتنوُّع يخلق قراءاتٍ متباينة للصراع الاجتماعى. إن الإسلام يتعدد بتعدد تياراته، وتباين الأوضاع الاجتماعية والموقع فى العملية الإنتاجية(٢) .

وتأسيسًا على ذلك يمكن أن نقيم تفرقةً بين ثلاثة تيارات رئيسية فى داخل هذه الجماعات، تلك التى تتمظهر فيما يلى :

أولاً – التيار السلفى المحافظ : ويسعى إلى بعث سيرة السلَف والتراث ونهج النص كما هو، ويسعى على مستوى الخطاب الدينى الأصولى أن ينشد مجتمعًا تقليديًا يقف أمام عمليات التحديث. ولكن بقدر وقوفه أمام عملية التحديث، فإنه أيضًا لا يسعى إلى التغيير .

ثانيًا – تيار التغيير والتبديل : وهو يسعى إلى تبديل المجتمع بصورةٍ شاملةٍ من خلال العقيدة بهدف إيجاد المجتمع الإسلامى القائم على الأسس الدينية. إن تبديل المجتمع لا يعنى التدخل من أجل إنهاء المجتمع القائم واستبداله بآخر إسلامى، وإنما يستند هذا التيار إلى ضرورة الركون إلى ما

---

(١) محمود أمين العالم «الدين والسياسة»، فى : قضايا فكرية، الكتاب الثامن، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، أكتوبر ١٩٨٩، ص١ .

(٢) مهدى عامل، نقد الفكر اليومى...، مرجع سابق، ص ٢٤١ .

يسمى بالحتمية العقائدية التى من شأنها أن تستبدل هذا المجتمع. بمعنى آخر، إنها تستند إلى قوى ميتافيزيقية غيبية لتبديل هذا المجتمع دون تدخل فيها.

ثالثًا – التيار الجهادى : وهو تيار يعمل على التغيير الجذرى من خلال الفكر والممارسة السياسية، ويعمل هذا التيار على تحقيق الانقلاب السياسى من خلال جماعة جهادية تنشق عن الواقع وتسعى إلى تثويره من أجل الوصول إلى السلطة. إن هذا التيار يطرح مشروعًا إسلاميًا يسعى إلى تحقيقه من خلال الثورة الشعبية (١) .

إن الواقع المعاش يشهد على تزايد ظاهرة الحركات الاجتماعية الدينية كجزءٍ من القوى الفاعلة لتبديل النظام الاجتماعى القائم؛ فالحركات الاجتماعية الدينية تعدُّ إحدى جماعات الضغط (غير الرسمية) فى المجتمع.. إن صعود ما يسمى بالحركات الدينية يأتى دائمًا من تعاظم الفجوة بين الاحتياجات الاجتماعية للجماهير وقدرة النظام الاجتماعى على تلبية هذه الاحتياجات. إن عجز النظام الاجتماعى القائم عن تلبية مثل هذه الاحتياجات الاجتماعية يجعل من هذه الحركات أحد الآليات التى تسعى إلى استبدال المجتمع بآخر(٢) .

ومن هنا فإن الجماعات الإسلامية يتعاظم دورها أو تتنامى فى المجتمعات التى تدبُّ فى جسدها مظاهر الضعف والاهتزاز، تلك التى تفقد

---

(١) هناك طرح آخر لتيارات الإحياء الإسلامى نجده فى :

رفيق حبيب، الإحياء الدينى...، مرجع سابق، ص ١٠ –١١.

(٢) رفيق حبيب، المرجع نفسه، ص ٧ .

الكثير من إرادتها المستقلة ومن قدراتها، وأصبحت تعيش مجموعةً من التناقضات الحادة على الأصعدة السياسية (بين الدولة والمجتمع) والاجتماعية (اتساع الفوارق الطبقية) والثقافية (التباين فى مستويات اللغة وطرق الحياة والتفكير والطائفية). إن نشوء الجماعات الإسلامية ما هو إلا رد فعل لكل هذه التناقضات الداخلية، ناهيك عن التناقضات الخارجية المتمثلة فى مسائل التَبَعِيَّة، وفشل كل الحلول المستوردة على المستوى التنموى[1] .

وبناءً على ما سبق يمكن الدفع بأن الجماعات الدينية ليست مجرد حركة دينية، وليست طائفة، ولا هى مدرسة كلامية أو مذهبية، إنها أقرب إلى (الجماعة – الحزب) أو (الظاهرة – التنظيم) ، فهى ليست مجرد تشكيل سياسى يسعى إلى استحواذ السلطة، وإنما هى قراءة سلفية للدين، ونمط من التربية والتنظيم تدعو إلى ولادة جديدة – قديمة، توحى بالقطع مع السائد، وتعيد للذاكرة معالم المعجزات الكبرى فى التاريخ[2].

إن الجماعات الدينية وفق حركتها تعدُّ حركةً ذات حنينٍ للماضى

---

(١) صلاح الجورشى، «الحركة الإسلامية : مستقبلها رهين التغيرات الجذرية»، فى : عبد الله النفيسى (محرراً)، الحركة الإسلامية : رؤية مستقبلية.. أوراق النقد الذاتى، مكتبة مدبولى، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٨٩، ص ١٢٤. وأيضاً : هشام شرابى، البنية البطركية : بحث فى المجتمع العربى المعاصر، دار الطليعة، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٨٧، ص ١٢٤ .

(٢) محمود أبو السعود «مشكلة المدلولات والقيادات»، فى : عبد الله النفيسى (محرراً)، الحركة الإسلامية...، مرجع سابق ص ٢٥٦، وأيضاً : الجورشى، المرجع السابق ص١٣٦.

تسعى إلى الهروب من المجتمع، أو الانسحاب من عذابات الحاضر إلى أمجاد الماضى. لذا فإننا نرى أنها حركة جهادية ثورية تسعى إلى إعادة تنظيم المجتمع وفق رؤية سلفية «ماضوية» مستندة إلى الأصول والسلَف (١).

لقد برزت الجماعات الإسلامية كحركة أصولية (٢)، يتمحور همُّها فى التحرير والخلاص، وكأيديولوچية للطبقات الوسطى والدنيا. ومع أن الحركة الأصولية الإسلامية تعبر عن مشاعر الجماهير المسحوقة، إلا أنها لا تُعدُّ حركةً دينيةً بالمعنى الواسع للمفهوم مثل الحركات الإسلامية التقليدية كالوهـابية والسـنوسية والمهـدية، خاصـة إذا ما أضـفنا إليهـا طابعها الأيديولوچى . لذا يمكن فهم الحركة الأصولية على أنها تعبير عن واقع اجتماعى، ونتاج مرحلة تاريخية يسعى إلى تطهير المجتمع أو تدمير المجتمع الفاسد أو البطركى، والعودة إلى الذات الإسلامية الأصلية.

---

(١) على ليلة، الشباب فى مجتمع متغير : تأملات فى ظواهر الإحياء والضعف، مكتبة الحرية الحديثة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٩٠، ص ١٩ .

(٢) يتناول المهتمون بالظاهرة الدينية مفهوم الأصولية Fundamentalism ليشيروا إلى ظاهرة الإسلام السياسى التى تعنى انتشار الدين كظاهرة فى مجال العمل السياسى والثقافى. وهى تعنى إضفاء صفة الإسلام على الحركة الأصولية التى تشير إلى معانى التزمت والتعصُّب والرجعية. وهناك من يشير إلى ترادف مفهوم الأصولية مع مفهوم المحافظة Conservative . فى ذلك يمكن الرجوع إلى : حيدر إبراهيم على، أزمة الإسلام السياسى : الجبهة الإسلامية القومية فى السودان نموذجًا، مركز البحوث العربية، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٩١، ص ١٧. وأيضًا :

Dekmejian R . H . , Islam in Revolution : Fundamentalism in the Arab World, Syracuse univ . press, 1992 .

إن الجماعات الإسلامية كحركةٍ أصوليةٍ تطرح نفسها كبديل عن الرأسمالية والاشتراكية والقومية والعلمانية. إنها تطرح ذاتها باعتبارها الآلية الوحيدة لخلاص المجتمع، وتحوله من الشكل البطركى إلى الشكل الإسلامى.

وفى إطار ذلك يمكن القول إن الطبقات الوسطى والدنيا تعتبر «المخزن الاستراتيجى» الذى يمدُّ الجماعات الإسلامية بالفاعل الاجتماعى. إن الطبقة الوسطى باعتبارها الإطار الأخلاقى العام للمجتمع، فإنها تمثل ذخيرة الجماعات الإسلامية ومُموِّنها الرئيسى بالفاعلين الاجتماعيين. فعلى الرغم من أن الطبقة الوسطى هى التى بدأت بالسفور فى الماضى، نجدها فى الوقت الحاضر هى التى انتشر بين أوساطها الحجاب مرةً أخرى، وهى أيضًا التى ينتمى إليها الآن معظم أعضاء الجماعات الإسلامية .

والواقع أن ذلك يعود - فى تصورنا - إلى أن الطبقة الوسطى تعدُّ من أوَّل الطبقات التى يستشعر أفرادها بالأزمة المجتمعية التى يخبرها الواقع القائم، وبالتالى يصاب أفرادها بالإحباط والحرمان وعدم إشباع احتياجاتهم الأساسية. إن تأييد قطاع واسع من أعضاء الطبقات الوسطى والدنيا للجماعات الإسلامية يعدُّ إحدى صيغ الصراع الطبقى الذى ربَّما يمارَس بدون وعى أو فهم جيد، لذا فهى تعدُّ إحدى صيغه ولكن ذات وشاحٍ دينى(١) .

إن انبعاث الجماعات الإسلامية كحركة على الصعيد السياسى يعبر

---

(١) على ليلة، الشباب فى مجتمع متغير....، مرجع سابق ص ٣٧٩ .

بوضوح عن الأزمة المجتمعية التى يشهدها الواقع المصرى، تلك التى تعبر عن تناقضات وإخفاقات نمط إنتاج الدولة أو ما يسمى بالدولتية(١). إن أفكار الجماعة الإسلامية تسعى إلى إعادة تشكيل الواقع الاجتماعى، وتتضمن تصورًا مثاليًا للمجتمع المنشود، ناهيك عن طبيعة وتشكُّل العلاقة بالمجتمع. وفى إطار ذلك يمكننا عرض أهم قضاياه، تلك التى تتمحور حول :

أولاً : تسعى الجماعات الإسلامية إلى ضرورة أن تكون الصفوة الإسلامية بكامل هيئتها من المسلمين، أما غير المسلمين فلا يحق لهم إلا أن يكونوا أعضاء بالمجتمع فحسب، وليس لهم إلا الحقوق والحريات ولهم الحماية.

ثانيًا : ينبغى أن تكون الشريعة الإسلامية مصدرًا رئيسيًا لكل قوانين الدولة الإسلامية، فلا يجب الفصل بين السلطات التشريعية وبين الشريعة الإسلامية.

ثالثًا : تستند أفكار الجماعات الإسلامية فى حل قضية الخلافة الإسلامية والحاكمية إلى كتابات ابن تيمية، وتتلخص هذه الأفكار فى أن الحكومة الإسلامية تكتسب شرعيتها وقوتها من خلال التزامها بالشريعة الإسلامية، وأن الحاكمية لله ورسوله .

---

(١) يشير تعبير الدولتية Statism أو الدولانية إلى تركيز السلطة الاقتصادية والتخطيط الاقتصادى فى يد الدولة، ذلك النوع الذى دائمًا ما يشار إليه بنمط إنتاج الدولة أو رأسمالية الدولة. حول هذا المفهوم انظر :

شحاتة صيام، التشكيلة الطبقية فى المجتمع المصرى : رؤية سوسيولوجية تاريخية، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٩٢، ص ١٧٠ .

رابعًا : ترى الجماعات الإسلامية أن الإسلام هو المصدر الرئيسى لتضامن الدولة الواحدة، كما أنه وسيلة لتضامن الدول الإسلامية. ومن الممكن أن تصبح المصادر الأخرى للتضامن مشروعةً، ولكن بشرط ألا تزيد على الإسلام كمصدر من حيث الأهمية والوزن. وبالنسبة للعلاقة بالدول غير الإسلامية، فترى أنه يجب أن تكون فى صالح المجتمع المسلم أولاً. (١)

وفي إطار ما سبق يمكن التمييز بين نوعين من الجماعات الإسلامية، إحداهما تميل إلى رفض المجتمع والانعزال عنه وتكوين مجتمع بديل، والأخرى ترفض المجتمع وتواجهه. إن الأولى تسعى إلى الانعزال عن المجتمع والتقوقع داخل خصوصيتها، وتنتظر وجود واقع بديل، أما الأخرى فتسعى إلى مجابهة المجتمع والانخراط فى الصراع السياسى مستخدمةً فى ذلك كل صور العنف. إن الفرق بين الأولى والثانية أن الثانية لا تقف عند حدود النظر إلى إيجاد مجتمع جديد فحسب، بل تسعى إلى سيادة البديل الذى تسعى إليه عن طريق العنف والثورة(*) .

(١) على ليلة، الشباب فى مجتمع متغير...، مرجع سابق ص ٤ .

(*) يعتبر العنف خاصيةً مشتركةً بين الحكم العسكرى والجماعات الأصولية الإسلامية. والواقع أن العنف لدى كلٍّ من الطرازين ليس شكلاً مستحدثًا أو طارئًا، وإنما هو حقيقة تلتصق بسلوكيات كل منهما. وانظر فى ذلك :

– فؤاد زكريا، الحقيقة والوهم فى الحركات الإسلامية المعاصرة، فكر للنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٨٦.

– شحاتة صيام، العسكريون وبيروقراطية الدولة فى مصر ١٩٥٢ – ١٩٧٠، المنار (مجلة) – القاهرة – سبتمبر ١٩٨٩ .

وينبغى أن نشير هنا إلى أن العنف ليس ظاهرةً مستحدثةً أو طارئةً على هذه الجماعات الأصولية الدينية، وإنما هو شئ ينتمى إلى تركيبها ذاته، وهو جزء لا يتجزأ من تكوينها الذهنى والنفسى، وهو وسيلتها الوحيدة لتحقيق أهدافها. إن العنف الدينى الذى جاء من خلال الجماعات الإسلامية، هو ما يطلقون عليه فى خطابهم «الجهاد»، تلك الفريضة التى أخذت مسحة تقديسية، وتعتبر رد فعل طبيعى ضد موجة الاضطهاد. إن العنف «المقدّس» باسم الدين، أو قُل «الجهاد» يعتبر أحد صيغ الصراع الطبقى(*) .

لقد أضحى العنف الدينى مثاراً للجدل والنقاش والبحث. لذا نجد أن مخرجات الدراسات التى تناولته تعددت بتعدد التوجهات النظرية والأيديولوچية، وكذا التخصصات. فعلى سبيل المثال نجد أن البعض يرى أن هذه الظاهرة تعود إلى غياب الديمقراطية، والقطيعة بين السلطة والجماهير،

(*) إن صور العنف الصادرة عن الجماعات الإسلامية هى المسئولة عن جعل الجهاز الأمنى فى مصر، ومن ثَمَّ بعض المفكرين، أن وسموا هذه الجماعات بالتطرف. حول هذا المفهوم وأبعاده، انظر :

– سمير نعيم أحمد، المحددات الاقتصادية والاجتماعية للتطرف الدينى: حالة مصر، المستقبل العربى (مجلة) العدد ١٣١، بيروت ١٩٩٠، ص١١١.

– سعد الدين إبراهيم، مصر تراجع نفسها، دار المستقبل العربى، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٨٣ .

– زكى على الربيعو، مدخل إلى ظاهرة العنف فى الخطاب السياسى السلطوى، الوحدة (مجلة) السنة السابعة، العدد ٨١، يونيو ١٩٩١ .

– محمد أحمد بيومى، ظاهرة التطرف : الأسباب واعصلاح، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٩٢ .

وتفسُّخ العقد الاجتماعى بينهما. وآخرون يرون أن العنف الدينى يرجع إلى ما يشهده المجتمع من اختلالات هيكلية وأزمة اقتصادية. كما أن هناك من يرى أن ذلك يعود إلى افتقاد المجتمع إلى المشروع القومى، وغياب الهدف المجتمعى العام، وسيادة ما يسمى بالحل الفردى، ووضوح التباينات الاجتماعية الطبقية، فضلاً عن تنامى ظواهر الإحياء الدينى المرتكز على الشروح المشوهة للدين .

إن طرح هذه القضية على بساط البحث يأتى من حكمٍ لا ريب فيه، ألا وهو أننا أمام ظاهرة اجتماعية «جد خطيرة» لها انتشارٌ واسع المدى سواء على مستوى القواعد الشعبية الواسعة، أو حتى على مستوى المثقفين. إن البحث الراهن يسعى إلى تأسيس طرحٍ علمى اجتماعى لدراسة أهمِّ نماذج الحركات الدينية فى مصر فى القرن العشرين. إن المسعى السوسيولوچى هنا، ما هو إلا محاولة للفهم الموضوعى العلمى من أجل صياغة إطار تفسيرى عام للظاهرة. إننا هنا نعنى بالأساس إلى إبراز هوية الجماعة الإسلامية، فضلاً عن توضيح مقاصد وأغراض هذه الجماعة، والكشف عن الصياغات النظرية والأيديولوچية فى الخطاب الإسلامى، ومدى اتساق هذا الخطاب مع الممارسات والتجليات العملية لهذه الجماعة. والواقع أن أغراض هذه الدراسة لا تقف عند هذا الحد، بل تعدَّت ذلك، إذ تسعى إلى الكشف عن جوانب الوعى الاجتماعى - من خلال الدين - بالظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية القائمة فى المجتمع. إن ذلك لن يستطيع الباحث أن يقف عليه بسهولة، دون إقامة دراسة «إمبريقية» لمجموعة من أعضاء التيار الجهادى .

إن دراسة الفكر الإسلامى الممارس والنظرى معًا، تُعدُّ من الدراسات المهمة - والقليلة - فى ميدان علم الاجتماع، إذ عن طريقها يمكن الوقوف على طبيعة هذا الفكر ورؤاه سواء بالنسبة للواقع أو للمستقبل.

وانطلاقًا من كل ما سبق، فإن الدراسة الراهنة جاءت فى ثلاثة فصول رئيسية، بالإضافة إلى مقدمة نظرية ومنهجية، ومجموعة من الاستنتاجات النهائية.

لقد جاء الفصل الأول ليتناول نشأة وتطور وتكوين التيار الجهادى فى مصر، وفيه أوضح الباحث من خلال الوثائق كيف تكوَّن التيار الجهادى فى مصر، وما أهدافه وأفكاره الأساسية، فضلاً عن توضيح الأسباب المجتمعية التى دفعت الجماعة الإسلامية إلى ممارسة العنف فى مواجهة الدولة .

ويأتى الفصل الثانى ليهتم بالتصورات النظرية والأيديولوچية لخطاب الجماعة الإسلامية. وفى هذا الفصل نقدم - ولأول مرة - منافيستو الجماعة الإسلامية الذى لم تتطرق إليه من قبل أية دراسة. ومن خلاله نحاول توضيح مفهوم ودلالات ومضمون الخطاب الإسلامى ووظائفه وعلاقته بالواقع.

أما الفصل الأخير فنجده من خلال دراسة مجموعة من دراسات الحالة لأعضاء الجماعة الإسلامية، يحاول أن يكشف عن أفكارهم لبعض القضايا المتصلة بالواقع والمستقبل .

إننا من خلال هذه الدراسة حاولنا قدر طاقتنا أن نميط اللثام عن أهمِّ وأخطر الظواهر الاجتماعية التى حدثت فى القرن العشرين. ولكن نودُّ هنا أن نشدِّد على أن تعرُّضنا لموضوع الدراسة تم من خلال رؤية موضوعية

خالصة من الأحكام القيمية أو التصورات النظرية المسبقة. ونرجو من الله أن نكون على قدر إسهامنا قد أفدنا .

والله ولىُّ التوفيق.

شحاتة صيام

السويس فى ١٩٩٢

الفصل الأول

التيار الجهادى فى مصر

النشأة والتطور والتنظيم

المحتويات

«... ما هذه إلا البداية...»

أحد هتافات مايو ١٩٦٨

تمهـــيد :

قد يثور تساؤل تقليدى منذ البداية، لماذا التكرار، أو لماذا نسرف فى الجهد، أو نعاود الحديث، أو نفتح ملفات التاريخ حول قضيةٍ شائكةٍ تطرح نفسها بقوة فى كل وقت. إنها مسألة الحركات الإسلامية أو حركات الإحياء الدينى .

والواقع أن دوافعنا هنا تتحدد فى أمرين، الأول هو أن هذه الحركات تفرض ذاتيتها على الأصعدة السياسية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية خاصةً بعد أن استفادت من تجارب الماضى، واستطاعت من خلاله أن ترى الحاضر بصورةٍ أكثر وضوحًا. إن الوجود الإسلامى يفرض نفسه، ويحاول أن يقيم لذاته وزنًا ووجودًا وانتشارًا على صعيد الواقع القائم. فمن السهولة بمكان أن نجد اليوم صورًا إسلاميةً زاهيةً فى الواقع الاجتماعى القائم .

أمـا الأمـر الثانـى فيتعلق بتقـديم قراءة أمينة لواقـع إحدى هـذه الجماعات وأهمها فى الواقع المصرى، تلك التى تشكل قوةً لا بأس بها من حيث الانتشار فى كل ربوع مصر، من المدرسة والجامعة، حتى معظم

المؤسسات الحكومية والمصالح والهيئات، إنها قضية الغد بكل ما تحمله هذه الكلمة من معانٍ واسعة.

ولكن هل نكرر التجارب السابقة، ونمعن عن الدراسات والبحوث ونصبح أمام جهدٍ منثورٍ في الهواء، كلاَّ، إننا هنا نلجأ إلى أسلوب تقليدى فى البحث العلمى الاجتماعي، إننا سوف نعيد قراءة أهم الوثائق التى من خلالها تم الحكم على فكر هذه الجماعة. أى أننا هنا سوف نتعامل مع وثائق القضية (*) التى شغلت الشارع المصرى، خاصة بعد قيامهم «بانتفاضة أكتوبر ١٩٨١» التى اشتهرت بحادث المنصَّة الذى راح ضحيته رئيس الجمهورية الأسبق، فى أكبر موكب احتفالى فى يوم ذكرى شرعيته، ألا وهو ذكرى انتصار أكتوبر .

إننا هنا نحاول أن نجيب على تساؤل مركزى مركب، يتمحور حول أفكار وممارسات الجماعة الإسلامية فى ضوء ما يسمى بإعادة إنتاج العلاقات الاجتماعية، ودورها فى إعادة صياغة عمليات التغير الاجتماعى، والشكل التنظيمى لهذه الجماعة، فضلاً عن الوقوف على الظروف المجتمعية التى أتت بهذا التنظيم على النحو الذى ظهر به .

ويهمُّ أن نشير إلى أن هناك قدراً لا بأس به من الدراسات تناولت الجماعة الإسلامية فى مصر، ولكن المتطلع إليها بعناية ودقة يجدها فضفاضةً وغير مجدية نظريًا ومنهجيًا، لأنها ابتعدت فى الأصل عن فكر

(*) قضايا النيابة العامة رقم ٢٥٩ لسنة ١٩٨٢، بدائرة عابدين، أمن الدولة العليا، والقضية رقم ٤٨ لسنة ١٩٨٢، والقضية رقم ٤٦٢ لسنة ١٩٨١ .

ومبادئ وفلسفة الجماعة، وتعجلت فى الحكم عليها (*). إننا هنا من خلال تناول فكر وفلسفة الجماعة نبتعد عن تقديم التحليلات الجاهزة، التى لا تفيد

(*) سوف نذكر هنا بعض الدراسات والبحوث التى تناولت الجماعات الإسلامية بالدراسة:

- محمد سعد أبو عامود، البناء التنظيمى لجماعات الإسلام السياسى فى الوطن العربى، مصر دراسة حالة، الوحدة (مجلة)، السنة السابعة، العدد ٨، يوليو - أغسطس ١٩٩١ .

- محمد أحمد بيومى، ظاهرة التطرف: الأسباب والعلاج، مرجع سبق ذكره .

- سمير نعيم أحمد، المحددات الاقتصادية والاجتماعية للتطرف الدينى : حالة مصر، المستقبل العربى، العدد ١٣١، بيروت ١٩٩٠ .

- فرج فودة، التطرف الدينى السياسى فى مصر، فكر (مجلة)، العدد ٧، القاهرة نوفمبر ١٩٨٥ .

- صابر أحمد نايل، حول ظاهرة العنف الدينى، اليقظة العربية (مجلة)، العدد الرابع، القاهرة مايو ١٩٨٨ .

- فؤاد زكريا، مستقبل الأصولية الإسلامية، فكر (مجلة)، العدد الرابع فبراير ١٩٨٥ .

- فؤاد زكريا، الحقيقة والوهم فى الحركة الإسلامية المعاصرة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٨٦ .

- عادل حمودة، الهجرة إلى العنف : التطرف الدينى من هزيمة يونيو إلى اغتيال أكتوبر، دار سينا للنشر، القاهرة ١٩٨٧.

- رفيق حبيب، الاحتجاج الدينى والصراع الطبقى فى مصر، مرجع سبق ذكره.

- جيلز كيبل، النبى والفرعون، ترجمة أحمد خضر، مكتبة مدبولى، القاهرة ١٩٨٨.

- إسماعيل صبرى عبد الله (محرر)، الحركات الإسلامية المعاصرة فى الوطن العربى، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٨٧ .

- سعد الدين إبراهيم، مصر تراجع نفسها، مرجع سبق ذكره .

فى التعرف على مكنون هذه الجماعة من حيث الفكر والممارسة، وذلك من خلال إطار تحليلى إمبريقى يسعى إلى فهم الحاضر ورؤية المستقبل .

إننا من خلال هذا العمل لا نجعل قبلتنا موقف الكثير إما مع أو ضد. إننا هنا بموضوعية البحث العلمي الأصيل، وبدون التزام أيديولوچى أو سياسى محدَّد نحاول رصد هذه الجماعة لكى نجيب على التساؤل الرئيسى لهذا الفصل. وقبل أن أشرع فى البدء، أود أن أقدِّم تحديداً واضحًا بين معالجتى لهذه الجماعة وغيرها من المعالجات. إن معالجتى من خلال الرؤية السوسيولوچية تبتعد عن غيرها فى أنها ترجع إلى ما أقرَّه التنظيم وما قدَّمه من رؤى التكوُّن والنشأة والفكر، وهو ما تفتقر إليه كل التحليلات التى كانت تنحصر إما فى الكتابة الصحفية أو المعالجات التاريخية أو الاستنباطية التى خرجت غير مُمحصة مستهدفةً السبق فى المعالجة فحسب، ناهيك عن بُعدها عن فكر الجماعة ذاتها. لذا، أزعم أن الوقوف على الجماعة من حيث فلسفتها ونشأتها وفكرها من خلال البحث فى وثائق مثولهم للمحاكمة، يُعدُّ أكبر مُعين لفهم هذه الجماعة بطريقة صحيحة وموضوعية. إن هذا الأسلوب يعدُّ من أهمِّ الأدوات التى تفتقد إليها كثيرٌ من البحوث الاجتماعية التى تصدَّت لهذه المسألة.

ويهمُّ أن نوضح منذ البداية أن قرار اتهام هذه الجماعة شمل ٣٠٢ عضواً من المنتمين للجماعة الإسلامية، أو من يصطلح على تسميتهم بتنظيم الجهاد، لقد كانت مجمل أفعالهم تتحدد فيما يلى :

إنهم خلال عامى ٨٠ /١٩٨١ حاولوا استبدال دستور الدولة وتغيير الحكومة فيها، وقلب نظامها الجمهورى من خلال الجماعة المسلحة التى كوَّنوها فيما بينهم، والتى تستند بالأساس على تكفير نظام الحكم ومعاونيه،

وإباحة اغتيالهم، ومن ثَمَّ تسعى إلى إسقاط الحكومة القائمة عن طريق العنف وبثورة مسلحة، للاستيلاء على زمام الحكم فى البلاد بالقوة. إنه لكى يتم ذلك دبَّروا لتنفيذ مخططهم الذى يسعى إلى اغتيال كبار المسئولين فى الدولة والقيادات السياسية والعسكرية والشخصيات العامة، والتعدِّى على أفراد قوات الأمن لسرقة أسلحتهم، وشلِّ مقاومتهم لهم أثناء تحركهم، واحتلال مبانى وزارة الدفاع ووزارة الداخلية والإذاعة والتليفزيون والسنترالات التليفونية وغيرها من المبانى العامة والحكومية لإحكام السيطرة على البلاد، وإعلان بيانات تفيد استيلاءهم على السلطة وتوجيه أفرادهم من خلالها. لقد نفذوا مخططهم باغتيال ومحاولة اغتيال عددٍ من المسئولين أثناء مشاهدتهم العرض العسكرى للقوات المسلحة احتفالاً بذكرى انتصارها فى السادس من أكتوبر، كما حاولوا تخدير جنود الحراسة على مخزن أسلحة إحدى الكتائب العسكرية لسرقة ما به من أسلحة واستخدامها فى احتلال مبنى الإذاعة والتليفزيون، والسيطرة عليه لإذاعة بيانات أعدُّوها تفيد نجاحَهم فى الاستيلاء على الحكم، واقتحموا مقارَّ الشرطة والمبانى العامة والحكومية بمدينة أسيوط، وقتلوا وشرَعوا فى قتل عدد من ضباط وجنود الشرطة فيها، واستولوا على أسلحتهم بغية السيطرة على المدينة، وخططوا لقذف السيارات الحاملة لجنود الأمن المركزى المتواجدة بميادين وشوارع القاهرة والجيزة بالمواد المفرقعة، توصلاً لشلِّ مقاومة قوات الأمن لهم وليتمكنوا من الاستيلاء على ما يحمله الجنود من أسلحة وذخائر، وأُحبطت محاولتهم نتيجة مقاومة قوات الأمن والشرطة لهم وضبطهم.

وفى يوم الثامن عشر من أكتوبر عام ١٩٨١ شاركوا فى تجمهر - مؤلف من أكثر من خمسة أشخاص - دبَّره وتولَّى قيادته أعضاء تنظيم

الجهاد، من شأنه تعريض السلْم العام للخطر، ومنع الهيئات الحكومية من ممارسة عملها بالقوة، وبقصد ارتكاب جرائم القتل العمد واحتلال المبانى العامة بالقوة وتخريبها ونهبها .

واستكمالاً لقرار اتهامهم من قبِل نيابة أمن الدولة العليا، فإنهم أنشأوا وأسسوا ونظموا وأداروا، على خلاف أحكام القانون، تنظيماً حزبياً غير مشروع ذا طابع عسكرى، واتخذوا طابع التدريبات العنيفة التى تهدف إلى الإعداد القتالى، بأن انشقوا ونظّموا وأسّسوا وأداروا جماعةً إرهابيةً سريّةً الغرض منها الدعوة إلى مناهضة المبادئ الأساسية التى يقوم عليها نظام الحكم الاشتراكى[1] فى الدولة والتحريض على مقاومة السلطات العامة، وكان استعمال القوة والعنف والإرهاب ملحوظًا فى ذلك، بأن درّبوا أفرادها على الأساليب القتالية واستخدام المفرقعات والأسلحة مع دراسة النظريات العسكرية.

وفى سبيل تمويل التنظيم ودعمه وتسليحه والإضرار بالوحدة الوطنية بلوغًا لتحقيق أهدافه، اتفقوا فيما بينهم - وبفتوى من أميرهم[2] - على سرقة بعض المحال ونهبها ومهاجمة رجال الشرطة والاستيلاء على أسلحتهم.

---

(١) هناك خلط كبير فى توصيف طبيعة النظام السياسى القائم، أو بالأحرى طبيعة نمط الإنتاج القائم الذى يقوم عليه النظام السياسى القائم. فهو هنا يصف النظام السياسى بأنه اشتراكى بيد أن طبيعته وقتذاك تتحدد فى تبعيته الواضحة للنظام الرأسمالى العالمى.

(٢) يقصد هنا بالأمير د. عمر عبد الرحمن أستاذ الشريعة بجامعة الأزهر. وهناك عدم اتفاق فيما بين أعضاء الجماعة بأنه أميرهم، إلا أنه من الثابت أنه تعاطف مع فكرهم، وتعامل معهم على سبيل الخطابة فيهم أثناء اجتماعاتهم وصلواتهم واعتكافهم، وتقديم بعض الفتاوى والمشورة لهم.

وبتاريخ أول أغسطس عام ١٩٨١ شرعوا فى قتل مجموعةٍ من الناس، ونهبوا كميةً من الذهب بالقوة الإجبارية. إنهم شكّلوا عصابةً مسلحةً لسرقة الأسلحة والذخائر بالإكراه. وفى الثالث من الشهر نفسه بيّتوا النيّة لقتل الموجودين فى حفل زفافٍ بكنيسة السيدة العذراء بمنطقة «المسرّة» بشبرا، وأعدوا لذلك قنبلتين قذفوهما عليهم .

وفوق كل ذلك أنهم تسلموا وقبلوا مبلغ ٢١ ألف دولار أمريكى، وحوالى ١٠٤٠٠ مارك ألمانى، وحوالى ١٢٦ ألف جنيه مصرى من مصريين مقيمين بالخارج. كما أنهم حازوا وأحرزوا أسلحةً ناريةً وذخائر بغرض قتل سياسى دون ترخيص.

ونتيجةً لذلك، ولكل ما سبق، فقد وُجِّهت لهم التهمة المنصوص عليها فى المادة ١٣٨ (أ) من القانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٦٦، وهى أنهم، وهم خاضعون للأحكام العسكرية، ارتكبوا أفعالاً ترمى إلى الخروج عن طاعة رئيس الجمهورية [١] وإلى قلب نظام الدولة الاقتصادى والاجتماعى.

ومن الأهمية بمكان أن نشير فى هذا الصدد أنه لولا توجيه التُّهم السابقة إلى هذه الجماعة ما كان لأى باحث مهما أوتى من قدرات أن يستطيع أن يقف على طبيعة هذه الجماعة سواء من حيث الفكر أو الممارسة.

---

(١) هذا النص يجعل من طاعة رئيس الجمهورية طاعةً واجبةً وملزمةً مثل طاعة الخليفة التى هى واجبة عند أهل السُّنة، كما أنه من نص قرار اتهامهم يصفونهم بأنهم جماعة مسلحة إرهابية مرةً، ومرةً أخرى جماعة غير شرعية تهدف إلى تغيير نظام الحكم. والتساؤل هنا :ش رعية من ؟. شرعية النظام الحاكم الذى وصفوه بالبعد عن الإسلام والجاهلية والكفر. إننا هنا أمام قضية نسبية، فما هو شرعى وجائز من وجهة نظر الحاكم، هو ليس كذلك من وجهة نظر تنظيم الجماعة الإسلامية.

إن هذه المحاكمة أوضحت بشكل لا يقبل الشك إلى أى حدٍ كانت هذه الجماعة تعمل بشكل مستتر، واستطاعت من خلال السرية أن تغوص فى أعماق البناء الاجتماعى الاقتصادى القائم.

أولاً: الإرهاصات الأولى لتكوين الجماعة الإسلامية:

إنه من خلال قرار الاتهام يمكن أن نخلص إلى أن الجماعة الإسلامية تعود نشأتها إلى نهاية عقد السبعينيات، أى تحديداً فى أوائل عام ١٩٧٩، حينما فكر «محمد عبد السلام فرج» المهندس(١) وقتذاك بإدارة جامعة القاهرة فى إنشاء تنظيم حزبى غير مشروع ذى طابع عسكرى، وذلك بإنشاء جماعة سرية تهدف إلى الوقوف ضد المبادئ الأساسية التى يستند إليها النظام السياسى الحاكم فى مصر، والدعوة إلى تغييره، لأنه يضع حاجزاً بينه وبين تطبيق الشريعة الإسلامية، تلك الأمور التى أدت - من وجهة نظرهم - إلى انتشار الفساد الاجتماعى والبعد عن تطبيق شرع الله!

والواقع أنه بعد أن استقرت هذه الفكرة واستبانت لدى «فرج» - أى

---

(١) هناك تناقض بين رأى المحكمة ورأى فرج نفسه خاصةً فيما يتصل بمسئولية فرج الأولى فى تكوين تنظيم الجهاد المصطلح عليه من قبل الأمن. فالمحكمة ترى أنه صاحب الفكرة، بينما هو يرى أنه أثناء عمله فى أوائل عام ١٩٧٨ بشركة هايدلكو بالإسكندرية تعرّف على «محمد إبراهيم سلومة» الذى ضمّه إلى «تنظيم الجهاد». وبعد القبض على أعضائه فى عام ١٩٧٩ وعدم كشف أمره انقطعت صلته بهذا التنظيم وعُيّن مهندساً فى إدارة جامعة القاهرة، وبدأ يفكر فى إنشاء تنظيمه. راجع فى ذلك أقوال أعضاء تنظيم الجهاد فى القضية رقم ٢٣٥٩ لسنة ١٩٨٢ أمن الدولة العليا ص ٩١ .

تكوين تنظيم الجماعة الإسلامية السرية - حاول أن يرسم منهجه فى كتاب سمّاه «الفريضة الغائبة». إن كتاب الفريضة الغائبة يعد من وجهه نظر كاتبه المستودع الفكرى الذى استمدت منه الجماعة أفكارها، والذى يعد خلاصة قراءاته من كتب السلَف. ويخلص هذا العمل إلى أن طواغيت هذه الأرض لن تزول إلا بقوة السيف، وأن الرسول عليه الصلاة والسلام قد بشّر بإقامة الدولة الإسلامية وإعادة الخلافة، وأن إقامة الدولة الإسلامية فرض واجب من المولى على كل مسلم، كما أن حكم إقامة شرع الله على هذه الأرض فرض على كل المسلمين لأن ما لم يتم الواجب إلا به فهو واجب أيضاً، وأنه إذا كانت الدولة الإسلامية لن تقوم إلا بالقتال، لذا وجب على المسلمين القتال.

ويوضح كتاب الفريضة الغائبة أن الأحكام التى يحكم بها المسلمون فى الوقت الحاضر هى أحكام الكفر. فهى قوانين وضعها الكفار، ويحاولون تسيير المسلمين عليها، وأن أحكام هذه العصر تعددت فيها أبواب الكفر التى خرجوا بها عن ملة الإسلام، بحيث أن الأمر لا يشتبه فيه على كل من تابع مسيرتهم. وأن حكام هذا العصر يبتعدون عن الإسلام، وتربُّوا على موائد الاستعمار والصليبيين، والشيوعية، والصهيونية، فهم لا يحملون من الإسلام إلا الأسماء، وإنْ صلُّوا وصاموا وادَّعوا أنهم مسلمون. ثم عقد مقارنةً بين حكام التتار وحكام اليوم، وانتهى إلى أن صفات حكام التتار هى هى صفات حكام اليوم، وحاشيتهم الموالية لهم الذين عظّموا الحكام أكثر من تعظيمهم لخالقهم، وانتهى من هذه المقارنة إلى أن حكام اليوم مثل حكام التتار خرجوا عن شريعة الإسلام.

إنه نتيجةً لكل هذه الآراء نجده ينتهى إلى وجوب الخروج على

الحاكم، وأن القتال الآن فرض على كل مسلم، وأنه يجب على المسلم أن يهب نفسه للجهاد فى سبيل الله، وأن ترك الجهاد هو السبب الذى ولَّـد ما يعيشه المسلمون اليوم من ذل وتدهور، وأن على المسلمين أن يختاروا الأسلوب المناسب والفعَّال الذى يحقق النصر لهم، ولكن بأقل التكاليف والخسائر(١).

لقد وجه «فرج» أفكاره إلى فئةٍ معينةٍ من المجتمع، إنهم فئة الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين العشرين والثلاثين، والذى يرى فيهم أنهم فئة ذات قلوب نظيفة، وقريبة من الفكر، بعكس الشيوخ الذين أصبحت قلوبهم منكوسةً غير قابلةٍ للحق(٢) .

ثم بعد أن صاغ أفكاره، بدأ يضعها حيز التنفيذ، ونتيجةً لذلك بدأ يروِّج لأفكاره والبحث عن مريديه، لذا بدأ يتردد على المساجد الكائنة بدائرة

---

(١) المدقق فى الطرح السابق لكتاب الفريضة الغائبة يجده يطرح فقط الجهاد كفريضة واجبة على المسلمين، وكآليةٍ واحدةٍ ووحيدةٍ للدعوة، وتتغافل أو غض الطرف عن آليتين أخريين هما الدعوة والحسبة أو النهى عن المنكر والأمر بالمعروف، ورأى الكتاب أن آلية الجهاد دون غيرها هى التى سوف تأتى بالأمر المحجوز ألا وهو قيام الدولة الإسلامية.

(٢) إنه فى اختياره يحاول أن يطلق التعميم على أن كل الشباب قلوبهم نظيفة. والعكس أيضًا على أن كل الشيوخ أصحبت قلوبهم منكوسة. وهذا عيبٌ خطيرٌ يؤخذ على منطق الاختيار. وأزعم هنا أن ليس ذلك كذلك، وإنما لأن ما يتمتع به الشباب من خصائص وما يتميزون به من اندفاعات وعواطف أو عدم رجاحة العقل، هو ما يجعل الشباب فى ظل الظروف المجتمعية التى كانت سائدة آنذاك أن يقبلوا الانضمام إلى هذه الجماعة.

حول خصائص الشباب والظروف المجتمعية فى مصر انظر : على ليلة، الشباب فى مجتمع متغير .....، مرجع سبق ذكره .

مسكنه ببولاق الدكرور والأحياء القريبة، والقرى القريبة منها، ليخطب فيها ويبث أفكاره، وليجذب المشايعين لفكره[1] .

وفى صيف عام ١٩٨٠ أثناء تردده على مسجد الفتح ببلدة ناهيا مركز إمبابة تعرَّف على «طارق عبد الموجود الزمر» الطالب بكلية الزراعة بجامعة القاهرة، والذى كان قد تشتت فكره نتيجة قراءاته الكثيرة فى كتب السلَف، وأثناء هذه الفترة تعرَّف على «عبود عبد اللطيف الزمر» المقدَّم بالمخابرات الحربية وزوج شقيقة طارق الزمر والذى كان قد اقتنع أيضًا من خلال قراءاته لكتب السلَف إلى ضرورة الجهاد القتالى فى سبيل الله لتحرير البلاد من حكم الجاهلية، أو ممن يحكمون بغير ما أنزل الله. لذا يمكن القول أن أفكار فرج والزمر تعانقتا حول العمل الجهادى، الذى وافق الثانى على مشاركة الأول فى تأسيس التنظيم.

وفى الوقت نفسه استطاع «فرج» أن يجتمع بأحد قادة الجماعات الإسلامية الهارب من النظام نتيجة أحداث الفتنة الطائفية بالمنيا. ألا وهو «كرم زهدى». لقد اختبأ «زهدى» فى ذلك الوقت بالمدينة الجامعية، وبعد مجموعةٍ من اللقاءات داخلها وداخل منزل الثانى اتفقا على إقامة الدولة الإسلامية عن طريق «الثورة الشعبية» من خلال تأسيس تنظيمٍ سرىٍّ ذى طابعٍ عسكرى على مستوى الجمهورية.

---

(١) الواقع أن اختياره للمناطق الطرفية أو الهامشية تؤكد قيام ظروفٍ اجتماعيةٍ بعينها يأتى فى مقدمتها انتشار الفقر والبؤس والمرض بين أوساط سكانها، تلك الأمور التى تجعل الشباب يسلكون سلوكًا انسحابيًا تجاه المجتمع وقيمه، وتجعلهم يمتطون رِكاب الدين ويجعلون من التمسك بالماضى رمزًا وهدفًا .

وبعد ذلك ومن خلال «زهدى» تم عرض هذه الفكرة على قيادات الجماعة الإسلامية فى الوجه القبلى (ناجح إبراهيم، وفؤاد حنفى، وعلى الشريف، وعصام الدين دربالة، وعاصم عبد الماجد، وحمدى عبد الرحمن عبد العظيم، وأسامة إبراهيم حافظ، وطلعت قاسم) الذين وافقوا جميعًا على تأسيس التنظيم وإدارته.

وفى أواخر عام ١٩٨٠ ومن خلال المساجد المقامة فى ضواحى القاهرة - وعلى الأخص فى بولاق الدكرور - تم تجنيد كثير من الشباب الذين اقتنعوا بفكرة الجهاد وشاركوا فى تأسيس التنظيم وإدارته .

ويهم أن نشير إلى أنه فى ذات الوقت الذى كان «فرج» يدعو فيه إلى تأسيس تنظيمه ذى الطابع شبه العسكرى لمناهضة المبادئ الأساسية التى يقوم عليها نظام الحكم فى الدولة، والتحريض على مقاومة السلطات العامة والقيام بثورة شعبية لإقامة الدولة الإسلامية، كان «محمد سالم الرحال» الأردنى الجنسية والطالب بجامعة الأزهر، يسعى بدروه لتأسيس تنظيم آخر يقوم على الفكرة نفسها التى يروِّج لها «فرج»، ولكن عن آليةٍ مخالفةٍ تتمثل فى الانقلاب العسكرى[1] .

لقد بدأ الرحال فى وضع أسس التنظيم ومقوماته ولائحته ومنهاجه للوصول إلى الحكم، وحاول تجميع المعلومات عن بعض الشخصيات العامة فى أجهزة الدولة، كما اتصل بعددٍ من الشباب عارضًا عليهم فكره وهدفه

---

(١) انظر حول ذلك فى :

محمد مورو، تنظيم الجهاد : جذوره وأسراره، الشركة العربية الدولية للنشر، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٩٠، ص ١٠٣ .

الذى يتلخص فى تكفير الحاكم وتكفير الهيئات المعاونة له لأنهم موالون للحاكم الكافر الذى يحكم بغير ما أنزل الله (١) .

ثانيا: نشاط الجماعة الإسلامية:

بعـد أن خلـص «فـرج» من انتقاء واصطفاء الأشـخاص الذين سيعاونونه فى إدارة التنظيم السرى، اجتمع معهم واتفقوا على أن يكون للتنظيم «مجلس شورى»، وبدأوا فى تشكيله، واستقر رأيهم على أن يكون مجلس الشورى مكونًا من الآتى أسماؤهم : محمد عبد السلام فرج، وعبود الزمر، وكرم زهدى، وناجح عبد الله، وفؤاد حنفى، وعلى الشريف، وعصام دربالة، وعاصم عبد الماجد، وحمدى عبد الرحمن، وأسامة إبراهيم، وطلعت فؤاد قاسم. وأن تسند رئاسة التنظيم إلى مجلس الشورى، ويختص بإدارة شئون التنظيم ومتابعة الأحداث ومواجهتها بالقرارات اللازمة.

وقد انبثق عن مجلس الشورى ثلاث لجان هى : لجنة العُدَّة، ولجنة الدعوة، واللجنة الاقتصادية، ثم مسئول المحافظات؛ على أن يكون لكل أمير الاختصاص بكل ما يتعلق بمجموعته سواء على مستوى الدعوة، أو اختيار الأفراد وتربيتهم، أو تدريبهم على قيام الليل والمعتكفات والوصول بهم إلى المستويات المطلوبة فكريًا وبدنيًا وعسكريًا .

---

(١) هناك تواكب بين فكر الرحال وفرج، إذ نجد الفكرة نفسها ، ولكن الآلية مختلفة. إن ذلك يجعلنا نتساءل هل هذه صدفة، أم أن هناك عوامل اجتماعية ساهمت فى إفراز مثل هذا الفكر .

وبعد أن انتهى «محمد عبد السلام فرج» من اختيار معاونيه الذين وافقوا على تأسيس التنظيم وإدارته، بدأ فى ضم مجموعةٍ من الشباب الملتزم دينيًا إلى تنظيمه، وكانت آليته فى ذلك هى التعارف ثم المناقشة لمعرفة التوجه الفكرى واختبار قابليته لفكرة الجهاد، ثم إعداد العُدَّة للجهاد من خلال التدريب، بهدف إقامة الدولة الإسلامية عن طريق قتال الحكومة بغرض تطبيق الشريعة الإسلامية.

ويوضح نشاط الجماعة الإسلامية أن العناصر التى ضمَّها التنظيم كانت تتوزع بين طلاب الجامعة وحاملى المؤهلات المتوسطة، ومن لا يعمل، وصغار التجار والموظفين (صاحب مكتبة ومحصل بميناء القاهرة الجوى، والسائقين، وأمين شرطة، وصفّ ومتوسطى ضباط الجيش، ومقدم برامج بالإذاعة) .

ومنذ صيف عام ١٩٨٠ بدأ «فرج» فى التردد على المساجد خاصةً القائمة فى المناطق الطرفية للقاهرة لإلقاء دروسه المتضمنة ضرورة العودة إلى الإسلام، واتِّباع قول السَلَف الصالح، وعدم الأخذ بأقوال العلماء المعاصرين وضرورة إقامة الدولة الإسلامية عن طريق الجهاد الذى يُعدُّ فريضةً واجبةً إلى أن تقوم الساعة لتطبيق شرع الله .

وفى أوائل عام ١٩٨١ التقى «فرج» بخالد الإسلامبولى قائد عملية أكتوبر ١٩٨١، أو ما يسمى بحادث المنصَّة، حيث علم أنه ينظم أفرادًا للجهاد من العسكريين والمدنيين، وأنه أنشأ تنظيمًا سريًا يقوم على فكرة الجهاد، وهدفه قلب نظام الحكم بالقوة عن طريق الثورة الإسلامية، وأنه جارى توسيع قاعدة التنظيم، فانضم إليه وهو مقتنع بفكره وهدفه وبأسلوب الوصول إلى الهدف .

ثالثا: وضع خطة التنظيم وجمع المعلومات وإحكام السرّية :

فى شهر فبراير عام ١٩٨١ بدأ «عبود الزمر» وضع خطة التنظيم لتحقيق أغراضه، وهى مناهضة المبادئ الأساسية التى يقوم عليها نظام الحكم فى الدولة والتحريض على مقاومة السلطات العامة بهدف إقامة الدولة الإسلامية، وتتخلص هذه الخطة فى إعداد مجموعة من الأفراد المدنيين وتدريبهم إلى مستوى معين مع توفير الأسلحة التى تمكُن من القيام بعمليات إحكام على بعض الأهداف الرئيسية والقيام باغتيال بعض القيادات السياسية وتفجير الثورة الشعبية من خلال توجيه مظاهرات شعبية، ثم بعد ذلك اختيار مجلس علماء ومجلس شورى من علماء المسلمين يُخطَرون بعد تفجير الثورة ليتولوا أمور البلاد .

وقد عرض «الزمر» هذه الخطة على أعضاء «مجلس شورى التنظيم» فوافقوا عليها. وفى سبيل تنفيذها قاموا بتدريب أعضاء التنظيم. ثم بدأوا فى جمع المعلومات عن بعض الشخصيات القيادية خاصة تحركات رئيس الجمهورية، ومعلومات عن مبنى الإذاعة والتليفزيون، ومعلومات عن مبنى وزارة الداخلية، ومقر أمن الدولة، ومقر الأنبا شنودة، وعن بعض الشخصيات القيادية، مثل إقامة قائد الحرس الجمهورى، وقائد الأمن المركزى، ومنزل نائب رئيس الجمهورية الأسبق. وبعد أن انتهوا من تجميع المعلومات بدأ عبود الزمر فى وضع الخطط اللازمة لاغتيال القيادات السياسية .

ولما كان تنظيم فرج يتسم بالسرية، فقد وضع «عبود الزمر» المبادئ الأساسية ليحتفظ التنظيم بسرّيته، وتتلخص هذه المبادئ فيما يلى :

١ – إلقاء محاضراته عن الأمن لأعضاء التنظيم تلك التى يرى أن من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه، أى أن كل عضو فى التنظيم غير مطلوب أن يعرف أكثر من نفسه، والموضوعات المكلَّف بها، ولا يسأل عن زميله أو يتعرف عليه، وعدم التحدث بأية معلومات عن التنظيم مع أحد، وعدم وجود لقاءات جماعية أو فردية مع أعضاء التنظيم، وأن تتم اللقاءات معه بصورة فردية، والاستعانة بكتابة الأشياء بالرموز والأسماء الحركية.

٢ – أعد «الزمر» منهجًا مبسطًا للأمن استقاه من خدمته فى المخابرات الحربية، ذلك الذى كان يُحرَق من قِبَل مسئولى الجماعات بعد تدريسه .

٣ – أعد «الزمر» شفرةً خاصةً بالتنظيم لاستخدامها فى تبادل الرسائل .

رابعًا: تمويل التنظيم:

كان التنظيم فى بدايته يعتمد فى تمويله على التبرعات من المساجد وما يُدِرُّه مشروع الأسواق الخيرية من ربح، إلا أنه بعد تصفية المشروع الأخير، وأثر وقوع حادث الزاوية الحمراء، اتفق مجلس شورى الجماعة على تطوير علمية التمويل عن طريق قتل بعض المسيحيين الذين يتاجرون فى الذهب ونهب وسرقة محتويات محلاتهم. وقد نُفذت هذه الخطة فى بعض المسيحيين ببلدة نجع حمادى. كما لم تقف أعمالهم عند هذه البلدة فقط، بل نفذوا مثل هذه الأعمال فى تجار الذهب فى دائرة قسم أول شبرا الخيمة خاصةً بعد أن وصل إلى علم «الزمر» أن صاحبة أحد المحال تساعد الكنيسة ضد المسلمين .

خامساً: تسليح التنظيم:

ولما كان استعمال القوة والعنف والإرهاب ملحوظًا فى إنشاء التنظيم الحزبى غير المشروع لذلك وجّه مؤسسوه وأعضاؤه اهتمامًا ملحوظًا نحو إحراز وحيازة القنابل والمتفجرات والأسلحة النارية المششخنة والمصقولة الماسورة والذخائر التى تستعمل فى الأسلحة سالفة الذكر، والأسلحة البيضاء (من سيوف وسونكات وخناجر ومطاوى وبلط وسكاكين)، تلك التى كانت إما مشتراةً من أفراد أو مسروقةً من وحدات الجيش، أو استولى عليها من أفراد الشرطة المكلفين بالحراسة .

سادساً: تدريب أعضاء التنظيم:

بعد أن انتهى مؤسسو أو مديرو التنظيم من ضم أفراد إلى التنظيم وتكوين المجموعات وتمويل التنظيم وتجميع الأسلحة على الوجه السابق بيانه، بدأوا فى تنظيم حركة تدريب أعضاء التنظيم، والتى كانت تمر وفق ثلاث مراحل :

المرحلة الأولى : التدريب على الأمن والطبوغرافيا [1] والإسعافات والرياضة البدنية وتعليم قيادة السيارات والدراجات البخارية.

والمرحلة الثانية : التدريب على الإغارات والكمائن واقتحام المبانى واستخدام المفرقعات نظريًا، واستخدام السلاح فكًّا وتركيبًا .

---

(١) تعنى كلمة الطبوغرافيا الرسم الدقيق للأشياء، أو لسماتها السطحية، أو بقول آخر إنها الرسم الدقيق لمكان معين .

أما المرحلة الأخيرة فكانت تتمحور فى الرماية بالأسلحة وتدريب عملى على الاقتحامات والكمائن على الأهداف المشابهة، وتولى أشخاص من داخل المجموعات عملية تدريب أعضاء التنظيم .

سابعًا: محاولة تغيير دستور الدولة وقلب نظم الحكم بالقوة:

بتاريخ ٢ سبتمبر عام ١٩٨١ أصدر رئيس الجمهورية القرار رقم ٤٩٣ لسنة ١٩٨١ تضمَّن التحفظ على عدد ١٥٣٦ شخصًا ممن توافرت فيهم دلائل جدِّية على أنهم ارتكبوا أو جندوا أو استغلوا صورة الأحداث التى هددت الوحدة الوطنية أو السلام الاجتماعى أو سلامة الوطن، وكلَّف المدعى الاشتراكى إجراءَ تحقيقٍ سياسى مع كل المتحفظ عليهم. وقد كان من بين من شملهم هذا القرار عددٌ كبيرٌ من أعضاء مجلس شورى هذا التنظيم، وتعقَّب باقى أعضاء هذا المجلس من قِبل أجهزة الأمن .

لقد نتج عن ذلك أن صدرت تعليمات إلى جميع أعضاء التنظيم بحلق اللحية والهروب من مساكنهم مع مداومة الاتصال فيما بينهم. لقد أسفرت هذه الإجراءات عن اتفاق إدارة باقى أعضاء التنظيم الذين لم يتم التحفظ عليهم، على ضرورة التعجيل بتحقيق هدف التنظيم، ذلك الذى يتمثل فى إقامة الدولة الإسلامية، ومحاولة تغيير دستور الدولة وشكل الحكومة فيها، وقلب النظام الجمهورى بالقوة .

وفى تاريخ ٢٣ سبتمبر ١٩٨١ وقع الاختيار على الملازم أول خالد الإسلامبولى للاشتراك فى طابور العرض يوم ٦ أكتوبر ١٩٨١، وفى تاريخ ٢٥ سبتمبر ١٩٨١ توجه «خالد الإسلامبولى» لزيارة «فرج» فى منزله لإبلاغه بمحاولة التخلص من رئيس الجمهورية الأسبق فـى منصَّة العرض، والذى

تم بالصورة الدرامية التى أفصحت عنها ببلاغة وسائل الإعلام المرئية والمسموعة .

وتنفيذًا لما انعقد عليه العزم بين أعضاء التنظيم من محاولة تغيير دستور الدولة وشكل الحكومة ونظامها الجمهورى بالقوة، إجتمعوا فى ٣ أكتوبر عام ١٩٨١ لتنفيذ محاولة سرقة أسلحة إحدى الكتائب العسكرية لمهاجمة مبنى الإذاعة والتليفزيون ومحاولة السيطرة على الدولة .

وتنفيذًا أيضًا لما انعقد عليه عزم أعضاء التنظيم وضُعت خطة لكسر حاجز الخوف أمام الشعب لإمكان تحريكه يوم ٦ أكتوبر ١٩٨١ وذلك بضرب سيارات جنود الأمن المركزى المتمركزة فى ميادين الجيزة والدقى والتحرير بالمفرقعات. وينبغى أن نشير أيضًا إلى أنه استقر الرأى على محاولة السيطرة على مدينة أسيوط فى الوقت نفسه الذى تتم فيه خطة الاستيلاء على الحكم فى مدينة القاهرة. ومن الأهمية بمكان أن نشير هنا إلى أن تنظيم الجهاد أراد استغلال عملية الاغتيال فى تنظيم ثورة شعبية تمتد من القاهرة والجيزة حتى أسوان[١] .

ثامنًا: أفكار تنظيم الجهاد: وجهة نظر النظام الحاكم:

سوف نتعرف فى هذه الجزئية، ومن خلال القضية ذاتها، على وجهة نظر الدولة فى أفكار الجماعة الإسلامية، والتى تبدو من الوهلة الأولى، أنها ضد خروجها عن شرعيتها. إننا هنا ننظر إلى وجهة نظر الدولة من خلال

---

(١) يمكن الاستدلال على ذلك من خلال أقوال أعضاء تنظيم الجهاد فى القضية سالفة الذكر من ص ٩١ – ١٤١ .

رؤية النيابة العامة لفكر المتهمين أو من خلال فكر أعضاء تنظيم الجهاد، لقد تناولت النيابة العامة فكر أعضاء التنظيم بالتمحيص - من وجهة نظرها - فذهبت منذ البداية إلى أن هناك مسلمات لا تقبل الجدل، أبرزها تلك التى تتعلق بأن «القرآن الكريم» هو دستور الأمة الإسلامية، وأن السُّنة النبوية الشريفة شارحةٌ ومبيِّنةٌ له، وأنه لا يجوز تفسير القرآن بدون علم، ولا تحميل ألفاظه بما يتفق مع الهوى، وأن العلماء المتخصصين فى كل فروع المعرفة موجودون بكثرة، وأن من يقنع بمعرفته الشخصية قد يضر نفسه .

وأنه من هذا المنطلق قد استطاعت النيابة العامة أن تسوق رأيها فى فكر الجماعة انطلاقًا من مصدرها الرئيسى ودستورها الذى وضعه «فرج» فى كتابه الذى سماه «بالفريضة الغائبة» وما أثاره قادة التنظيم وأعضاؤه فى التحقيقات.

وترى الدولة أن كتيب «الفريضة الغائبة» يوضح أن واضعه غير مؤهل تمامًا للاجتهاد أو تفسير القرآن والأحاديث، ومن ثَمَّ فقد خدع نفسه أولاً، ثم خدع الآخرين، فضلاً عما شاب الكتيب من ركاكة الأسلوب وأخطاء التعبير، الأمر الذى يعطى انطباعًا عن قِلَّة حصيلة صاحب الكتيب من القرآن الكريم، كما أنه يبين من مناقشة الأفكار التى تضمنها الكتيب قلة حصيلة واضعه من علوم الفقه، إذ ورد بالكتيب أن علماء العصر تجاهلوا الجهاد فى سبيل الله بالرغم من علمهم أنه السبيل الوحيد لعودة ورفع صرح الإسلام من جديد. وهو فى ذلك يشير إلى مفهوم معيَّن للجهاد، ألا وهو حمل السلاح للقتال وفاته أن حمل السلاح ليس هو السبيل الوحيد لعودة الإسلام.

فالجهاد عمل واسع ولا يمكن قصره على وسيلة واحدة من وسائله الكثيرة، وعلى ميدان واحد من ميادينه المتعددة. فهناك الجهاد بالقرآن، وهناك الجهاد ضد النفس الأمارة بالسوء، وهناك جهاد ضد الشيطان، وأنه قد فات واضع الكتاب أن الجهاد الذى يعيد الإسلام من جديد هو الجهاد الشامل للنفس والشيطان والمنافقين والمشركين، وجهاد الفقر والمرض والجهل. أما القول بأن الجهاد هو القتال فذلك مفهوم غريب عن الفكر الإسلامى. ثم تعرضت الدولة بعد ذلك إلى ما جاء ذكره فى كتيب الفريضة الغائبة حول قول رسول اللّه صلى الله عليه وسلم : «... بُعثت بالسيف بين يدى الساعة لكى يُعبد اللّه وحده لا شريك له، وجُعل رزقى تحت رمحى، وجُعل الذُلة والصَغار على من خالف أمرى، ومن تشبه بقوم فهو منهم...» .

والواقع أن معنى : «... بعثت بالسيف» يعنى أن اللّه بعثه صلى اللّه عليه وسلم داعيًا بالسيف للتوحيد بالقرآن وأن ليس أمامه فى هذه المهمة إلا السيف .

والواقع أنه لو تمعن – الكلام هنا للدولة – واضع الكتيب المذكور فى هذا الحديث لاستبان منه أن منهج الدعوة هو عرض الإسلام أولاً بالحكمة. ثم عند الإعراض يُطلب من الكفار إخلاء الطريق لتبليغها، فإن رفضوا وجب قتالهم. فالقتال هو آخر مرحلة من مراحل الدعوة. إن المفهوم السطحى للحديث يوحى بأن الإسلام انتشر بالسيف، وأنه الوسيلة الوحيدة للدعوة، وهذا مخالف تمامًا لطبيعة الإسلام فى كونه رحمة للعامين. فالقتال لا يكون إلا بعد استنفاد كل الوسائل .

أما القول الآخر الذى تضمنه كتاب الفريضة الغائبة والذى نسبه إلى رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، فهو «... قال وهو يخاطب طواغيت مكة - استمعوا يا معشر قريش - أما والذى نفس محمد بيده، لقد جئتكم بالفتح...» فى حين أن هذا الحديث ورد فى سند أحمد، وسنده ضعيف، ولا يوجد فى مصادر السُّنة الأخرى، فى حين أن ظاهر هذا القول يتناقض مع ما جاء به الإسلام باعتباره دين لين ورحمة، ولم يحدث أن الرسول صلى الله عليه وسلم رفع سيفًا فى وجه أحدٍ من أهل مكة قبل الهجرة، وحتى بعد أن هاجر ودخل مكة فاتحًا لها، وكان فى مُكنته الانتقام من أهلها، فقال لهم اذهبوا وأنتم الطلقاء. فقد كانت الرحمة خُلُقه وهى الغاية من رسالته .

ورأت الدولة أيضًا، أن صاحب كتيِّب الفريضة الغائبة أراد أن يشحن وجدان الشباب الذى وجه التنظيم جهده إليه، وأراد أن يؤسس فكره بأسس من الدين الإسلامى، اختلفت موازينه وحاد عن الطريق المستقيم، واستنبط أحكامًا توافق هواه .

ثم تعرضت الدولة بعد ذلك إلى الأساس الفكرى للتنظيم، فرأت أن هذا الأساس يتمثل فى تكفير الحاكم وأعوانه، فذهب إلى أنه ورد فى الكتيِّب أن الأحكام التى تعلو المسلمين اليوم هى أحكام الكفر، لأن اللّه سبحانه وتعالى يقول : (ومن لم يحكم بما أنزل اللّه فأولئك هم الكافرون) (التوبة :٥)، وأن الشريعة التى أنزلها اللّه ليحكم بها الناس شاملة العقيدة والعبادة والمعاملات وغيرها .

وأضيف أنه ليس مجرد عدم الحكم بها يكون كفرًا، لأن الكفر معناه

الجحود والإنكار، وليس معناه التقصير فى تنفيذ أمر من أوامر اللّه، فمن اعترف أن الأمر مقرر شرعًا، ولكن أهمل تنفيذه؛ فإن العمل لا يؤثر على الاعتقاد ولا يمكن اتهامه بالكفر، وأنه لم يربط بين العمل والاعتقاد كما فى الفرق بين الإيمان والكفر سوى الخوارج. هذا وأن تكفير الفرد ليس أمرًا بسيطًا، إذ يترتب عليه اختلال حياة الفرد كلها فى أموره الخاصة والعامة، وابتداءً من حياته داخل أسرته إلى معاملته للناس فى المجتمع حين ينظر إليه على أنه فرَّط فى دينه وخرج من سعة الإيمان إلى ضيق الكفر، ولذلك كان المسلمون الأوائل يرعون صفة الإيمان فى الناس جميعًا ولا يُخرجون أحدًا من جماعة المؤمنين إلا من أخرج نفسه من الإسلام بقول أو فعل قاطع الدلالة فى الخروج على الإسلام .

وأورد ممثل الدولة فى حكمه على الجماعة الإسلامية، أنها قذفت المجتمعات الإسلامية بأنها جاهلية تارةً وكافرة تارةً أخرى، وأنها تحكم بأحكام الكفر، إن هذا الحكم يعتبر حكمًا جائرًا يخالف أحكام الشريعة الإسلامية، ويضيف الكتاب أيضًا أن حكام اليوم مُرتدُّون عن الإسلام، وأن عقوبة المرتد أعظم من عقوبة الكافر الأصلى، واستدل على ذلك بمقتطفات لابن تيمية الذى يعيش مرشدًا وهاديًا لأفكاره واسترشد بها، وذلك يعدُّ فهمًا وتفسيرًا خاطئًا، ناهيك عن أنه غير مؤهَّل للاجتهاد .

وأضاف ممـثل الدولة أن مـا جاء بالكتيب من تشـبيه حكام اليوم بالتتار، وُظِّف فى غير موضعه، ولا علاقة هنا بموضوعه، فالتتار كفار فى الأصل ويتظاهرون بالإسلام، وأفعالهم تفضح بواطنهم الكافرة، ومن ثَمَّ

فاستدلالات الكتيِّب بفتاوى ابن تيمية فى غير موضعها، ومن ثمَّ فهى توضح عدم فهمها وعدم توظيفها فى مكانها الصحيح.

وقد تعرضت الدولة إلى وجهة نظر الجماعة الإسلامية فى آية «السيف» خاصةً فى استنادها لها لمقاتلة الحكم، وذهبت إلى أنه فات واضع الكتاب، أن هذه الآية نزلت فى المشركين والحض على قتالهم لنقضهم العهد وإعراضهم عن شرع الله وإخراجهم للمسلمين من ديارهم واعتدائهم عليهم. إنه من وجهة نظر الدولة أن هذه الآية نزلت لمقاتلة الكفار وليس لقتال المسلم العاصى[1] .

ثم انتهى ممثل الدولة إلى قوله إن الدين ينهى عن أن يكفِّر المسلم أخاه المسلم، وأن الحاكم هو رمز وحدة جماعة المسلمين، وهو القائم على شئونهم، وقد أمر الله بطاعة أولى الأمر فى غير معصية، فإن كان تكفير المسلم كبيرة عند الله، فالقول بتكفير الحاكم المسلم أكبر، وقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن الخروج على الحاكم .

تاسعًا: أفكار الجماعة الإسلامية: وجهة نظر أخرى:

فى السطور التالية سوف نتعرض لوجهة نظر مخالفة للرؤية التى سقناها قبل قليل وتعرضنا فيها لوجهة نظر الدولة فى أفكار جماعة تنظيم الجهاد. إننا فى هذا الشق سوف نتعامل مع رأى «الشعب»، رأى الدفاع فى هذه الجماعة وأفكارها ومبادئها وأهدافها.

---

(١) برغم أن ممثل الدولة يفند دستور الجماعة الإسلامية للدفاع عن نظامه الحاكم، إلا أن المطَّلِع على استناداته يجد فيها بوضوح إدانةً للنظام الحاكم بشكلٍ لا يقبل الجدل .

فى هذا الإطار حاول الدفاع أن يعرّف الإسلام بكماله وشموله، ورأى أن الإسلام حياة كاملة للأسرة والفرد والمجتمع والبشرية كافة، فهو شريعة صالحة لكل زمان ومكان، وشريعة فوق كل الشرائع والدفاع عنه واجب ومفروض على كل المسلمين، وأن الأصل الأول فى الإسلام هو العقيدة، وأمور العقيدة هى بين العبد وربه. أما الأصل الثاني فهو العلاقة بين الفرد والفرد، والفرد والدولة والأسرة، أى العلاقة بين الناس، وقد جاءت أحكام هذه العلاقات في الكتاب والسُّنة وهى ما تسمى بالشريعة الإسلامية .

ويستطرد الدفاع فيذهب إلى أن أعضاء الجهاد حاولوا تسويد الشريعة الإسلامية والانتصار لدين الله، وهم فى سبيل ذلك كانوا مستعدين للموت، أو الذهاب إلى أبعد من ذلك، لو كان ذلك متاحًا .

والواقع أن إيمان الفرد لا يكتمل، إذا كان حاكمًا أو محكومًا، إلا بتطبيق شرع الله، ومن انتقص منه، فقد انتقص فى دين الله، ولا يجوز التحاكم بغير شريعة الله. والدليل على وجود تطبيق الشريعة الإسلامية مستمدٌ من القرآن الكريم الآيات ٢٤ – ٤٥ – ٤٧ من سورة المائدة، والمستفاد من قوله تعالى : (احكم بينهم بما أنزل الله) وهو أمر واجب، وعدم مشروعية التحاكم بغير ما أنزل الله وقاعدة الحكم بما أنزل الله لا خلاف عليها، وأن الله وصف الذين يحكمون بغير ما أنزل الله بأنهم كافرون، ظالمون، فاسقون، ومن خرج عن الملّة وجحد شرع الله ولم يطبقه ومن أنكر معلومًا من الدين بالضرورة فهو من الكافرين، ولاشأن له بالحكم. فقد أجمع العلماء على أنه يخرج عن الدين من جحد معلومه، وإذا لم يطبِّق الحاكم الشريعة فقد أمعن فى الخروج عن الإسلام، أما الذى لا يطبق شيئًا من

الشريعة بغير علم فقد عصى، ومن المعاصى إهمال تطبيق الشريعة الإسلامية .

والدليل الثانى على وجوب تطبيق الشريعة الإسلامية مستمدٌ من سُنة رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم، وقيام الحكم على أرفع مستوى فى عهد الرسول دليل على وجوب تطبيق الشريعة الإسلامية .

أما الدليل الثالث فهو الإجماع، فتصرفات الصحابة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم دليل قاطع على اهتمامهم بمصالح المسلمين، إذ أن تطبيق الإسلام فى عهد الخلفاء الراشدين وأقوالهم المأثورة دليل على تمسكهم بشرع اللّه .

إن عدم تطبيق الشريعة الإسلامية وبعد الحاكم عن سيادة شرع اللّه والظروف الاجتماعية القائمة فى المجتمع هى الباعث الرئيسى لتكوين جماعة الجهاد ومن ثَمّ نشاطهم. إن ما وقع من تنظيم الجهاد هو انتفاضة شعبية إسلامية. إنه منذ أن جاء رئيس الجمهورية السابق ووقع معاهدة كامب ديفيد التى نتج عنها عزل الشعب المصرى عن الأمة الإسلامية فى جميع أنحاء العالم، وارتبطت هذه المعاهدة بشرط منها أنه لا يجوز لأى مصرى أن يناقشها، ثم تصفية الاتجاهات الإسلامية، ثم جاءت حرب لبنان مما حرَّض بعض المغامرين من الأقباط فى مصر لتحقيق حلم قديم بإقامة وطن لهم فى مصر، وبدأ رجال الدين القبطى يدعون إلى ذلك، ثم جاءت ثورة إيران وتصرفات رئيس الجمهورية السابق تجاه الشاه، تلك التى أثارت حفيظة الشباب المسلم، والاتجاه العدائى لثورة إيران، ثم أحداث الزاوية الحمراء وموقف السلطة منها، ثم تصرفات رئيس الجمهورية الأسبق فى خطبه

السياسية التى جرح بها كل مسلم حين وصف لباس المرأة المحجبة بأنه خيمة، ومنع دخولها الجامعة بالزى الإسلامى، وقوله لا دين فى السياسة ولا سياسة فى الدين .

إنه وفقًا لذلك فقد خرج السلطان عن الشريعة الإسلامية والدستور. وإذا كان جوهر القضية هو مروق السلطان عن الشريعة، فإنه من الحق أن يخرج المسلمون على الحاكم، ويقوِّموه حتى يعود أو يخلع، فلا طاعة فى الكفر ولا طاعة فى الفسق. وإذا كان ذلك من الناحية الدينية، فإنه أيضًا من الناحية القانونية أنه من خلال ممارساته قد أهمل كل القواعد الدستورية حين اعتقل ما يربو على ١٥٣٦ شخصًا، اتخذهم خصومًا حينما عارضوا كامب ديفيد. إن كل ذلك يعطى لجماعة الجهاد الحق فى الخروج عليه، بل ومقاومته أيضًا، وأن الواقعة المعروضة لا تشكل جريمة، ولا ينبغى الخروج بها عن حدِّها الشرعى .

عاشرًا : الأسباب المجتمعية
التى دفعت الجماعة الإسلامية لمواجهة الدولة :

ثمة عوامل اجتماعية واقتصادية وسياسية على الصعيدين الإقليمى والدولى ساهمت فى تهيئة المناخ لتصاعد موجة السخط من خلال الدين على النظام الحاكم فى مصر. وفى هذا الإطار سوف نلخص أهم معالمها كما جاءت فى الوثائق التى نحن بصدد تناولها، تلك التى تتمحور فيما يلى :

١ - أن الديمقراطية التى نص عليها الدستور كانت ديمقراطيةً شكليةً، مما أدى إلى طريق مسدود، وإلى العمل السرى .

٢ - عدم إعطاء الشعب الحق فى محاسبة الحاكم، ومنح الأخير الحق فى اختيار التوجهات التى يراها بغض النظر عن مصالح الشعب، لذا نجده راح يطبق الانفتاح الاقتصادى دون ضوابط، الأمر الذى انعكس على الواقع الحياتى للمجتمع المصرى .

٣ - أن الشعب المصرى يعيش فى حالة معاناة، بينما تصرف بعض الصحفيين لإبعاد رئيس الجمهورية عن الشعب ومتاعبه، لقد عانى معظم الشعب معاناةً شديدةً، ولعل أبرز هذه المعاناة تتمثل فى سكنى القبور والتفاوتات الاجتماعية الكبيرة والصارخة، وحالة رئيس الجمهورية ذاته الذى كان يعيش فى بذخٍ واضحٍ، وتنقلاته المستمرة بين الاستراحات والقصور المتعددة .

٤ - غياب شرع الله عن أرض مصر، وعدم تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية، مما يعنى أن كل مظاهر المجتمع المصرى لا تتفق بأى حال مع قواعد الإسلام. فلا يتصور أن دولة دينها الرسمى الإسلام، ويرخص فيها لملاهى ترتكب فيها موبقات، وترخص لمصانع إنتاج الخمور أو محال لبيعها وشربها .

٥ - التصريح لوسائل الإعلام بنشر وإذاعة ما لا يتفق مع شرع الله، أو سفور المرأة بصورة مخالفة لدين الإسلام .

٦ - نشأة الشباب فى تناقض إعلامى «تابع» وعاصى، وتغيب عنه مناهج التربية الإسلامية، وتصرُّف رئيس الجمهورية الأسبق وأعوانه فى ثروات البلاد بغير محاسبةٍ أو هدف .

٧ - أن ظروف نشأة الجماعة الإسلامية جاءت بتأييدٍ من رئيس

الدولة السابق لمناهضة التيار الشيوعى فى البلاد، ثم محاربتهم فجأة بعد توقيع معاهدة كامب ديفيد لاعتراضهم عليها، وتأييد رئيس الجمهورية السابق لأقباط مصر، وتمكينهم من أرض البلاد وموقف رئيس الكنيسة الأرثوذكسية من اعتراضه على تطبيق الشريعة الإسلامية، وما حدث منه من تصريحات لأبناء طائفته (١) .

٨ – ترك علماء المسلمين الشباب دون توعية دينية حكيمة بقراءاتهم من كتب السَلَف، رغم ما شاب هذه الكتب من إسرائيليات، ولم يحاول هؤلاء العلماء جمع هذه الكتب وبحث ما بها من إسرائيليات ومحاولة حذفها وتنقيحها قبل أن تصل إلى يد الشباب.

إن الأسباب سالفة الذكر مجتمعةً هى التى دفعت الشباب إلى الالتجاء إلى الدين، فالدين ليس مجرد عبادة، وإنما الشريعة الإسلامية كلية تشمل منهاجًا لعلاقة الإنسان بربه، ومنهاجًا لنظام المجتمع فيه صلاح للجميع .

وفى خاتمة هذا الفصل يمكن القول إن النزعة السلفية التى جاءت بها جماعة الجهاد تعدُ واحدةً من الردود الفكرية والأيديولوجية فى صيغتها المناوئة للنظام الحاكم فى المجتمع المصرى، ومن ثَمَّ تعد أحد الردود على الانهيار الحضارى الذى دبَّ فى الجسد الإسلامى والصراع الاجتماعى

---

(١) للمزيد حول ذلك أنظر :

– نبيل عبد الفتاح، المصحف والسيف : صراع الدين والدولة فى مصر، مكتبة مدبولى، القاهرة ١٩٨٤ .

والتباينات الاجتماعية القائمة فى المجتمع سواء على الصعيد الإقليمى أو الدولى .

إن منطق الجماعة جاء كردٍّ على ذلك المبدأ الذى يدعو إلى أن الإسلام توقف عن كونه حركةً مشروعيةً تاريخيةً. إن هجوم الجماعات الإسلامية على الدولة، يشكل رد فعلٍ طبيعى للدفاع عن الثقافة الإسلامية، تلك الثقافة التى تشكل اللحمة التاريخية والاجتماعية والفكرية وتحول الكفاح ضد الأنظمة الحاكمة الموصومة بالجاهلية، أو هى بالأحرى دفاع عن الجماهير المسحوقة. والحقيقة أن طرح المسألة كذلك، يعدُّ دفاعًا عن الذات وهجومًا على مفهوم الصفوة الحاكمة .

إن ظهور جماعة الجهاد وفق منطقها المطروح، يعود فى تصورنا إلى فشل النظريات الوضعية، وظهور السلفية كدعوةٍ أيديولوجيةٍ تسعى إلى الانكفاء على الأصول الدينية فى صيغتها النصِّية المعتقدية، حتى وإن استُخدِمت كأحد مظاهر الوعى القومى المُعادى للنظام الإمبريالى وإسرائيل .

إننا هنا أمام «أرثوذكسية» دينية متمسكة بالأصول، أو هى بتعبير آخر دوجماطيقية عقائدية. إن النظر بعمق لجماعة الجهاد يجعلنا نذهب إلى أنها تكرار للحركات الشعبية والرموزية الدينية التى ظهرت منذ القرن الأول الهجرى، خاصةً فيما يتصل باستخدام الرمز الدلالى لكلمة الجهاد، باعتبارها أحد أركان الدعوة فى الدين الإسلامى .

وإذا كانت الانتفاضة [١] هى إحدى المراحل المهمة من العملية السياسية التى يصطلح عليها بالثورة، وأن الثورة هى الكل، والانتفاضة هى الجزء، فإن نشاط الجماعة الإسلامية يدخل فى إطار ما يسمى بالانتفاضة، ولكنها فى الوقت نفسه انتفاضة ناقصة أو غير تامة؛ فليس المهم أن تكون الانتفاضة شيئًا دراميًا هائلاً، أو مجازفةً من الجماعة بكل وجودها، أو أن تكون على درجةٍ عاليةٍ من التخطيط والإحكام، المهم قبل كل ذلك أن تُعضَد من قِبَل الجماهير .

إذن فلا يكفى لجماعة الجهاد أن تكون ضد النظام الحاكم أو تكون جماعةً سياسيةً منكفئةً على ذاتها، إذ لا بد أن تكون ذات بُعْد جماهيرى. أى أن عمل تنظيم الجهاد هو عمل ناقص، لأنه شابَتْهُ القطيعةُ الجماهيرية. إن نظرية الانتفاضة تؤكد أن الجماهير أهمُّ شئ فى الاندفاعة الثورية، وتغيير نظام الحكم والاستيلاء على السلطة. إن الانتفاضة تصبح مفهومًا خاويًا إذا لم يقم بها الجماهير، ولابد من تصحيح بُعد التشددات العقائدية التى تقف سدًّا منيعًا أمام جذب مزيدٍ من الجماهير وتجعل منها قوةً منظمةً تسعى إلى إيجاد النظام المحجوز .

---

(١) يقصد بالانتفاضة كل عنف مسلح، مهما يكن شكله، بهدف الاستيلاء على السلطة السياسية وتغيير طبيعة الحكم. فى ذلك انظر :

– أميليو لوسو، نظرية الانتفاضة، ترجمة جوزيف عبد الله، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، د . ت .

إن الانتفاضة هى دائمًا انفجار شعبى نتيجة ضغطٍ سياسى أو اقتصادى أو اجتماعى أصبح لا يطاق. لذا يمكن فى خاتمة هذا الفصل الزعم بأن تنظيم الجهاد فى أكتوبر ١٩٨١ - تحديداً - كان يشكل جماعةً سياسيةً منكفئةً على ذاتها لم تقترب من مستوى الثورة الشعبية أو حتى الانتفاضة..

الفصل الثانى

خطاب الجماعة الإسلامية فى مصر

التصوُّرات النظرية والآيديولوجية

المحتويات

أولاً : مفهوم الخطاب الإسلامي ودلالاته :

نعني بمفهوم الخطاب الإسلامي Islamic Discourse أنه عبارة عن منظومةٍ فكريةٍ تحوى كثيراً من المفاهيم والمقولات النظرية الإسلامية التي تعين الفرد في خبر أحد جوانب الواقع الاجتماعي القائم. أو بقول آخر، إنه المعرفة المنظمة بأحد جوانب الواقع الاجتماعي، التي تسعى إلى تقديم مجموعة من التصورات الإسلامية والدلالات النظرية حول إحدى قضايا الواقع الاجتماعي أو إشكالاته المتباينة التي تم إنتاجها في السياق التاريخي الذي صاحب الفكر الإسلامي منذ فترة السبعينيات من هذا القرن.

إن تناولنا هنا لمفهوم الخطاب، يعني أننا سوف نعرض لجملة التصورات النظرية والمفاهيم والمقولات في منظومةٍ فكريةٍ منطقيةٍ تتناول واقعاً تاريخياً وسياسياً واجتماعياً محدداً، فضلاً عما يطرحه من تحديد لطبيعة العلاقة الجدلية بينه وبين البيئة المحيطة، سواء على الصعيد المحلي أو العالمي[١] .

إن استخدام مصطلح الخطاب من خلال السوسيولوچيا، يعني أننا سوف لا نهمل العملية التاريخية العامة التي يُعدُّ الخطاب جانبها الإبستمولوچي والنظري، لذا سوف نتناول هذا الخطاب في ضوء العلاقة الجدلية بين الجانب النظري والمعرفي وبين الممارسة الاجتماعية والسياسية، تلك التي سوف تساعدنا في الوقوف على التحليل الموضوعي التاريخي للبُنى الاجتماعية والأيديولوچية .

---

(١) عبد العليم محمد، ملاحظات نقدية حول دراسة الخطاب السياسي، المنار (مجلة)، العدد السابع، السنة الأولى، القاهرة يوليو ١٩٨٥، ص ١٨ .

وفى هذا الصدد ينبغى أن نقيم تمييزاً بين أمرين فى إطار هذا الخطاب، الأول يتعلق فيما يسمى بالخطاب الدينى التقليدى أو المؤسسى، أما الآخر فيرتبط بما يطلق عليه بالخطاب الدينى غير المؤسسى أو الجهادى. ويهم أن نوضح هنا، أنه على صعيد التمييز، فإنه يمكن أن نقيم تفرقةً بين عدة خطابات داخل كل من هذين الخطابين .

وعلى الرغم من أن مفهوم الخطاب يشير إلى مصطلح شامل، حيث يحتوى على مجموعةٍ من العناصر التى تعين على فهم مجموعة الأشكال والتصورات والإدراكات النظرية، فإن الخطاب الإسلامى يفتقر لكونه نظريةً متكاملةً. لذا سوف نجد أن تحليل وفهم ذلك الخطاب، يوضح أنه نوعٌ من الأيديولوچية الخاصة. إن استخدام الخطاب كأداة لتحليل الجماعة الإسلامية(١) يعنى أننا سوف نقف بصورة مباشرة على مضمون ومنطلقات وآليات وتصورات هذه الجماعة وأشكال وطرق إدراكها للمجتمع(٢) .

---

(١) الجماعة الإسلامية هى ذلك التيار الإسلامى الذى ظهر فى أوائل السبعينيات، والذى أظهر مواقف مناهضةً لنظام السادات ومن لسياساته خاصةً على الصعيد الوطنى، تلك التى أفضت إلى معاهدة الاستسلام أو ما يطلق عليها اتفاقية كامب ديفيد. وتقوم هذه الجماعة على مجموعة من المقولات التى تتمثل أهمُّها فى : الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والجهاد فى سبيل الله، والمشاركة فى جميع الأنشطة والمجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية. لقد أطلقت المؤسسة الأمنية على الجماعة الإسلامية اسم تنظيم الجهاد عقب أحداث أكتوبر ١٩٨١، لتنفير الناس منها، مستغلةً فى ذلك الهجوم على هذه الفريضة. والواقع أن هذه التسمية تسمية خاطئة لأنها تحصر الجماعة الإسلامية فى فريضة واحدة وهى الجهاد.

(٢) الخطاب وفق هذا المعنى نشير إليه على أنه قد يكون مكتوباً أو ملفوظاً، أو منظوماً بطريقة منطقية حسب اتجاهٍ محددٍ، وظروفٍ اجتماعيةٍ تاريخيةٍ محددةٍ. فى ذلك انظر:

وباعتبار أنه ليس هناك أساس واحد للخطاب الإسلامي، حيث تتعدد التيارات والاتجاهات المتصارعة، فإن بإمكاننا القول في هذا الإطار إن البنية المعرفية لهذا الخطاب تستند إلى أطر مرجعية إبستمولوچية مغايرة، لذا نجد أن هذا التباين يرجع إلى هذه الأطر، بقدر ما لا يعود إلى فئات أو طبقات اجتماعية معينة، أى أنها تخلع عن نفسها طبيعتها كذوات فاعلة.

إن بُعد الخطاب الدينى عن التعبير عن ذوات فاعلة فى المجتمع، يجعل من هذا الخطاب مجرد تكييف أيديولوچى لتراثٍ كان يعتبر استجابةً لواقع اجتماعى مختلف، الأمر الذى جعل أصحاب هذا الخطاب الإسلامى يعبرون عن ذاتيتهم من خلال إطار مرجعى عاش ونما فى زمن غابر[1] .

إن قراءة الخطاب الإسلامى قراءةً سوسيولوچيةً، تعتبر مهمةً صعبةً خاصةً وأننا نسعى إلى رصد الأفكار النظرية والممارسات العملية التى تسمح لنا بمعرفة ما يلى :

أولاً : الوقوف على التوجهات الفكرية للخطاب الإسلامى عبر سياقاته التاريخية المتباينة، تلك التى تعكس صياغاته الفكرية والنظرية وتطبيقاته العملية.

= حيدر إبراهيم على، أزمة الإسلام السياسى : الجبهة الإسلامية القومية فى السودان نموذجًا، مركز البحوث العربية، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٩١، ص١٧٧ .

(١) على الرغم من تباين الواقع الاجتماعى الذى ينطلق منه الخطاب الدينى فإن هناك قاسمًا مشتركًا ونظامًا مرجعيًا واحدًا يجمع بينهم ألا وهو القرآن الكريم، ولكن ما يجعلهم يتباينون، أن هناك تناولات مختلفة لهذا القرآن ومنهجيات متباينة، تطغى عليها المصالح والانتماءات الاجتماعية. فى ذلك يمكن الرجوع إلى :

– محمد حافظ دياب، سيد قطب : الخطاب والأيديولوچيا، دار الثقافة الجديدة، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٨٧، ص١٥ .

ثانيًا : التعرف على الظروف التاريخية الاجتماعية التى ساهمت فى نشـأة وتطـور هـذا الخطـاب، ناهيـك عـن الكشـف عن الشـروط الثقـافية والسياسية والأيديولوچية التى تسهم فى إعادة إنتاجه .

ثالثًا : إن قـراءة الخـطـاب الإسـلامى تـكشـف عن مـدى ارتبـاطه بالعلاقات والصراعات الطبقية والوطنية. بقول آخر، إن تناول هذا الخطاب يعنى الكشـف عن العـلاقة بين الدين والأيديـولوچيا والحركات الديـنيـة والصراع الطبقى والوظائف الاجتماعية للخطاب الدينى، وموقفه من قضايا الانتماء الطبقى والديمقراطية والثورة (١) .

ومن الأهمية بمكان أن نشير إلى أن الخطاب الإسلامى – وفق هذه القراءة – محكومٌ بدلالات هذه التسمية، فهو ليس إسلاميًا، بقدر ما هو إسلاموى(٢) – إن جاز لنا هذا التعبير – لأنه يحمل معنىً أيديولوچيًا. أى أن الخطاب هنا هو خطاب أيديولوچى ذو مسحة دينية بالدرجة الأولى، لذا يمكن هنا أن نستعمل ترادف الخطاب بالمعنى الأيديولوچى أو الإسلامى أو الإسلاموى. فإذا كانت الأيديولوچيا – هنا – تعنى مجموعةً من التصورات والأفكار والمعتقدات التى تسعى إلى وظيفة محددة هى التبرير، وأنها تُعدُّ تباعدًا بينها وبين الحقيقة القائمة، وأنها مجموعة من الأدوات الذهنية المستعملة فى واقـع آخـر، فإننا هنا نـرى أن الخطاب الإسلاموى هـو

(١) محمد حافظ دياب، المرجع السابق ص٢٦ .

(٢) إن إضافة واو وياء النسب يعنى التقليل من قيمة هذا الخطاب، لأنه يدخل فى ذاته البعد الأيديولوچى، وينأى عن الفكر التقليدى، أو هو بالأحرى امتداد تقليدى لفكر توفيقى يسعى إلى تأبيد وجوده على الصعيد السياسى .

أيديولوچيا دينية، أو بالأحرى هو خطاب إسلامى بمرجعية دينية تمت فى واقع وظروف تاريخية مخالفة تسعى من خلالها إلى الكفاح مرةً أو إلى الاحتجاج مرةً أخرى[1] .

إننا من خلال تحليل الخطاب الإسلامى نرى أنه جاء انعكاساً للحاجة والصراعات وللآمال الراهنة لجماعة منفصلة عن الواقع. لذا نجد أن الخطاب يخلط بين الأرثوذكسية الدينية التى تحصر اهتماماتها فى دراسة الإسلام من خلال الفقهاء والنصوص الموروثة، وبين الخيالات الاجتماعية التى تجاهد من أجل تكريس خطٍ فكرى يسعى إلى السيطرة على الواقع الاجتماعى القائم. إننا فى ذلك يمكن أن نطلق على هذا الخطاب ما يسميه «أركون» بسوسيولوچيا الإخفاق أو ما يطلق عليه بالخطاب الخفى[2] .

ثانيا : الخطاب الدينى : وظائفه وعلاقته بالواقع الاجتماعى :

تتباين رؤى الخطاب الدينى فى علاقته بالواقع الاجتماعى الاقتصادى بتباين منطلقاته الفكرية والإبستمولوچية (المعرفية) التى تقوم بتحليل ورصد

---

(١) حيدر إبراهيم على، أزمة الإسلام....، مرجع سابق ص ١٧٨، ويمكن الرجوع أيضاً إلى :

- عبد الله العروى، الأيديولوچيا العربية المعاصرة، دار الحقيقة، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٧٩، ص ٢٤ .

- محمد أركون، تاريخية الفكر العربى الإسلامى، مركز الإنماء العربى، بيروت ١٩٨٦، ص ٣٤ .

(٢) محمد حافظ دياب، سيد قطب... مرجع سابق ص ٢٣. وأيضاً : محمد أركون، الفكر العربى، ترجمة عادل العوا، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ١٩٨٢ .

هذا الواقع. وبغض النظر عن هذا التباين والتعدد، إلا أن هناك إجماعًا على أن الخطاب الدينى هو هو الأيديولوچيا، أو بحد أدنى هو جزء منها. ولما كان ذلك كذلك، فإن الخطاب الدينى يعد جزءًا من الواقع القائم فى لحظة تاريخية محددة، إذ يقدم فى إطاره تصورًا للماضى والحاضر والمستقبل. ووفق ذلك فالخطاب الدينى هو تصور نظرى للواقع القائم سواء فى تطوره التاريخى أو اللحظى أو الاستشرافى[1] .

والواقع أن إنتاج الخطاب الدينى الإسلاموى يخضع لمجموعة من الشروط الاجتماعية والتاريخية، ولمكونات ثقافية ومادية. أى أنه يخضع للطريقة التى ينتج بها الناس حياتهم المادية، أو التى يتصورون بها حياتهم، فضلاً عن الشروط الاجتماعية المصاحبة لها، تلك التى نعنى بها قيام فئة اجتماعية محددة تعمل على صياغة الخطاب الدينى، وتطرحه على صعيد الواقع المعاش .

ويهم أن نشير إلى أن الخطاب الدينى كإنتاج ثقافى عقلى، وباعتباره جزءًا من الأيديولوچيا – أو هو كلها – لا يعنى أنه يسعى إلى تسويغ المشروعية للجماعة الحاكمة، بقدر ما يسعى إلى تفضيل المصالح الخاصة للجماعة الإسلامية على أنها المصالح العليا. وهو بهذا المنطق نجده يسعى إلى إنهاء مجموعة التناقضات الاجتماعية فى المجتمع، تلك التى تقف حجر عثرة أمام تحقيق أدوارها[2] .

وتأسيسًا على ما سبق، فإن الخطاب الإسلاموى ليس نتاجًا لفكر فرد واحد، وإنما هو من صنع مجموعة من الشباب المتدين، هؤلاء الذين

---

(١) عبد العليم محمد، ملاحظات نقدية ....، مرجع سابق، ص ١٩ .

(٢) المرجع السابق مباشرة، ص ٢٠ .

يمكن أن نطلق عليهم «محررو الخطاب»، أو على حسب تعبير «جرامشى» بالمثقفين العضويين. وينبغى ألاَّ يفوتنا أن نذكر أن الخطاب الدينى وفق المعنى المطروح ليس إلا نتاج شروط مجتمعية، أو قل إنه نتاج تفاعل هؤلاء المثقفين مـع السياق المجتمعـى، أى أنـه مـن الصعوبـة بمكـان أن نفصل المحتوى الاجتماعى لهذا الخطاب عن الواقـع الطبقى .

وباعتبار أن الخطاب الإسلاموى لم يأت من فراغ، وأنه نوع من الأيديولوچيا، فإنه فـى الوقت ذاته مـا هـو إلا قناع يخفـى وراءه دوافـع واتجاهات أيديولوچية معينة، أو بالأحرى إنه جاء ليخدم وظيفة اجتماعية تسعى إلى إعادة إنتاج العلاقات الاجتماعية. أو بقول آخر إنه ليس فقط منظومةً فكريةً إبستمولوچيةً، بل هو نوع من الممارسة العملية والتطبيقية والتنظيمية، تلك التى يمكن أن نصطلح عليها بالأيديولوچيا المستترة (١) .

وإذا كانت دراسة أى خطاب تتحدد فى استكشاف مضمونه النظرى ومناهجه وآلياته المتعددة التى تتعامل مع الواقع الاجتماعى فى لحظة تاريخيـة معـينة، أو بقول آخر تتحـدد فى كشـف الوظيفة الاجـتمـاعـية والتاريخية، فـإن مناهـجـه تتعدد وفقًا لاعتبارات أية دراسة. ولما كـان تحليل المضمون مـن المناهج العلمية الأكثر استخداماً فـى تحليل ودراسة أى

---

(١) إذ كانت أيديولوچيا الجماعات الإسلامية تتحدد فى الظاهر بالعمل بالأمور الفقهية، فإن ما هو مخبـأ أو مستتر، نجده يسعى إلى إعادة إنتاج الواقع الاجتماعى؛ أى تبديله وتغييره. انظر فى ذلك :

– محمد حافظ دياب، سيد قطب...، مرجع سابق ص ١٨١ .

– رفعت سيد أحمد، الدين فى الخطاب السياسى الناصرى، المنار (مجلة)، العدد السابع، مرجع سابق ص ٣٨ – ٥٨ .

خطاب، حيث يسعى إلى كشف المحتوى النظرى والمعرفى للخطاب، فضلاً عن توضيح برامج ووسائل الاتصال المختلفة للخطاب، فإننا هنا سوف نستند إلى تحليل مضمون كيفى للخطاب، ويعتمد على تحليل مقولاته ومفاهيمه للوقوف على السياقات النظرية التى توجهه، مستخدمين فى ذلك أسلوب التحليل الغرضى أو الاستشهادى الذى يعتمد على الاستعانة ببعض شواهد ومقولات نصوص الخطاب ذاته.

إننا من خلال هذه الآلية نرى أنه من خلال الخطاب الإسلامى يمكن فهم الواقع الاجتماعى وأنماط التفاعل الاجتماعى الحالية والمحتملة على الصعيد النظرى والأيديولوچى والواقعى. وفى ضوء هذا الهدف فإننا سوف نتناول بالتحليل والرصد لما هو مكتوب فقط ، إننا سنتناول أهم وثائق الجماعة الإسلامية، تلك التى يطلق عليها المثقفون العضويون «بميثاق العمل الإسلامى»[1]، والواقع أن تحليلنا للخطاب الإسلامى لا يكتفى بذلك فحسب، بل سيتناول بالتحليل أيضًا بعض إصدارات الجماعة الإسلامية.

ثالثًا: التحليل الكيفى للخطاب الإسلامى:

يرى ميثاق العمل الإسلامى، أو مانيفستو الجماعة الإسلامية، أن المجتمع المصرى يعيش فى زمن الصحوة الإسلامية التى يقودها الشباب المتدين منذ السبعينيات فى مصر من أقصاها إلى أقصاها، وأنهم يخوضون

---

(١) ناجح إبراهيم وعاصم عبد الماجد وعصام الدين دربالة، ميثاق العمل الإسلامى، المعالم الشرعية والفكرية للجماعة الإسلامية، فبراير ١٩٨٤ .

معركةً طاحنةً ضد المارد الجاهلى، وهنا يقصدون بالمارد الجاهلى «الدولة أو النظام الحاكم»، وفى ذلك يقول الميثاق :

«... إننا عشنا الصحوة الإسلامية المباركة التى قادها الشباب المسلم فى السبعينيات.. فى جامعات مصر ومدنها وقراها.. إننا خضنا مع الطليعة المقاتلة المواجهة التى تمت بين الصحوة الإسلامية ممثلة فى شباب الجماعة الإسلامية وبين المارد الجاهلى...» (١) .

وأن هذه المعركة لن تثمر أو تفضى إلى نصرٍ دون عودةٍ إلى اقتفاء أثر الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام. ليس هذا فحسب، بل أيضاً أن اقتفاء أثر النبى أمر ضرورى ومهم للعودة إلى الإسلام، الذى أصبح غريباً فى دار المسلمين.

ويذهب ميثاق العمل الإسلامى إلى أنه حرصاً على العمل الإسلامى أن يخوضه الشباب بغير وضوح، وحتى لا تنجذب الحركة الإسلامية بعيداً عن أهدافها، فكان لابد من تجميع هؤلاء الشباب فى حركة إسلامية واحدة، والحقيقة أن هذه الحركة لن تولد ما دام المسلمون يعملون فى فرق مبعثرة، وأن ولادة هذه الحركة الإسلامية الواحدة يتطلب تجميع القوى لا استنفارها، وحتى يتم ذلك لابد من الإجابة على ما يلى :

١ - ما هى غايتنا التى نسعى إليها ؟

٢ - ما هى عقيدتنا التى ندين بها ؟

٣ - ما هو فهمنا الذى نتحرك به ؟

---

(١) المرجع السابق مباشرة ١ - ٨ .

٤ – ما هى أهدافنا ؟

٥ – ما هى طريقنا لتحقيق هذه الأهداف ؟

٦ – ما هو زادُنا ؟

٧– لمن يكون ولاؤنا، ومن نعادى ؟

٨ – على ماذا نجتمع ؟

والواقع أن ميثاق العمل الإسلامى يرد على كل هذه التساؤلات ويوضح الملامح الشرعية والفكرية التى على الجماعة المسلمة أن تلتزم بها، وبذا يمكن أن نعتبر الميثاق هو الخط الفكرى لخلاصة التجربة التى عاشتها الجماعة الإسلامية فى ضوء المواجهة التى خاضت غمارها ضد الدولة فى أكتوبر ١٩٨١، أو بحسب تعبير الميثاق، ضد «أعداء الدين» .

١ - غاية الجماعة الإسلامية :

يرى ميثاق العمل الإسلامى أن رضا الله تعالى أعلى وأسمى من كل نعيم، حتى ولو كان هذا النعيم متمثلاً فى وعد الله بالجنة. وهم فى ذلك يتبعون أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم. إن رضا الله تعالى غاية تتصاغر أمامها، بل تتلاشى كل الغايات. فمن وجد رضا الله ، وجد كل شئ. وأنهم فى ذلك يرجون من الله رضاه طمعًا أن يدخلوا يوم القيامة فى عباده الصالحين (يا عِبادِ لا خوفٌ عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون. الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين. ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تُحْبَرون.) (١) .

---

(١) سورة الزخرف الآية : ٦٨ – ٧٠ .

ويزعم ميثاق العمل الإسلامى أن كل ما أصاب المسلمين اليوم من تدهور وذل ومسكنة وتَدَنٍّ لا يرجع إلى أى شئ، إلا لبعد المسلمين عن طاعة الله. فلا نظام دولى، أو نظام تجارى غير متكافئ، ولا طبقات حاكمة مستغلة، هو الذى جعل المسلمين فى مرتبة متدنية، ولكن الذى وضع المسلمين فى هذه المنزلة ليس سوى بعدهم عن الله وإعراضهم عن تطبيق شرعه. وهم فى ذلك يرون «.. أن الأمر جد خطير، لأن ترك المسلمين لغايتهم التى ما خلقوا إلا لها، وإعراضهم عنها، لا يعنى فقط أنهم سيعيشون فى ذِلَّةٍ فوق سطح الأرض، كما هو حادث اليوم. أى أنهم سوف سيصيرون إلى خطر عظيم يوم القيامة كلٌّ بحسب إعراضه وبعده..[1] .

إن رضا الله تعالى ليس له معنى إلاَّ عدم اختيار سخط الله تعالى، وليضحك الناس على أنفسهم، وليسموا غاياتهم الباطلة أى تسمية عصرية تحلوا لهم، فهى بأى حال لن تعدوا أن تكون سخطًا من الله تعالى. فليسمُّها هذا سعيًا وراء الاشتراكية، وليُلبِسها ثوب الديمقراطية، وليخلع عليها اسم الرأسمالية، أو القومية العربية، أو ينادى عليها بالعلمانية..». إن كل الدعاوى أو الاختيارات فى نظر الجماعة الإسلامية هى بُعدٌ عن الله وبُعدٌ عن الحق، وهى دعاوى واختيارات باطلة «... ما داموا قد تركوا الحق (فماذا بعد الحق إلا الضلال)[2]» .

والمدقق فى تصورات هذا الميثاق يجد أنه لا يفرق بين تكوين اجتماعى اقتصادى أو اختيار أيديولوچى أو نظام اجتماعى، فهو يسوِّى بين

(١) ميثاق العمل الإسلامى، ص ١٨.

(٢) سورة يونس، الآية : ٣٢ .

الديمقراطية والرأسمالية والاشتراكية والقومية والعلمانية ويعتبرها ضلالات دون الوقوف على المعنى العلمى، أو حتى الاصطلاحى لهذه الأشياء .

ويطلق الميثاق تحذيراته، فيرى أن العودة عن هذه الأشياء جميعًا هو الذى يجعل رضا الله يلف المسلمين وينقذهم من التدنى والسُّحْق وأن هذه العودة يلزمها شيئان، الأول هو الإخلاص لله، والثانى هو متابعة النبى فى العمل. وتؤكد الجماعة الإسلامية من خلال ميثاقها أن الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا أن يُقتفى أثر الرسول صلى الله عليه وسلم وتُتَّبع سُنته وتُلزم طريقه. إن تحقيق المتابعة هو الضمان الوحيد للاستقامة والنجاة من سبيل الضلال : (... وأن هذا صراطى مستقيمًا فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله..)[1] إن ضياع المسلمين – من وجهة نظر الميثاق – وتدنِّى أحوالهم يرجع فى الدرجة الأولى إلى البعد عن فلك الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن ثَمَّ فى عدم متابعة أثره وتبَنِّى مناهج ونظريات أرضية (٢) .

٢ - عقيدة الجماعة الإسلامية :

يوضح ميثاق العمل الإسلامى أن العقيدة ليست ادعاءً يُدَّعَى، كما أنها ليست مجموعةً من القضايا الكلامية، أو ادعاءات ترددها الألسن، أو تحبيرًا لمجلدات، وإنما هى يقين يستقر فى القلوب، إنها إلحاح العمل الصالح المقترن بالإيمان فى القرآن. كما أن للعقيدة أثرًا ماديًا لابد من

(١) سورة الأنعام، الآية : ١٥٣ .

(٢) ميثاق العمل الإسلامى، ص ٢٥ – ٢٦ .

ظهوره حاليًا ليبرهن على صدق دعوى الإيمان، وإلا فهى دعوى لا دليل على صحتها أو صدقها (... إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البريّة ...)[1] .

ويرى الميثاق أيضًا أن العقيدة هى نوع من الإخلاص، كما أنها فى الوقت نفسه ضد الرياء، لأن المسلم مأمور أن يخلص فى كل عمل إلى الله، كما فى المقابل عليه أن يتخلص من كل صور الرياء، ويخطئ من يترك العمل الصالح مخافة الرياء، بل عليه أن يعمل وأن يخلص (... فليعمل عملاً صالحًا، ولا يُشرك بعبادة ربه أحدًا)[2] فالإخلاص ضرورى ومطلوب لكل نفس حتى تتخلص من ذاتيتها وهواها، وحتى يصير مرادها هو ما أراده الله منها. إن الإخلاص وفقًا لذلك يعد أحد شروط قبول العمل، لأن الشرط الثانى يتمثل فى اقتفاء أثر النبى ومتابعته .

إن الجماعة الإسلامية من خلال خطها الفكرى يلخصون عقيدتهم فى ضرورة الاقتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح، والالتزام بما شرع الله وأنهم لا يستطيعون الالتزام بالعقيدة إلا من خلال الإخلاص، وهم فى ذلك يضربون الأمثال من الماضى للتدليل على مدى ارتباط العبد بربه مخلصًا. إنهم يرون أن ما هو حادث اليوم من موالاة الحكام للشرق والغرب والذّلة لهم يدخل فى باب الكفر، كما أن الولاء والحب للنصارى واليهود،

---

(١) سورة البينة، الآية : ٧ . راجع أيضًا فى هذا المعنى الآية ٨٨ من سورة الكهف، والآية ٦٢ من سورة البقرة، والآية ٦٩ من سورة المائدة، والآية ٦٠ من سورة مريم، والآية ٤٨ من سورة الأنعام، والآية ٨٢ من سورة طه، والآية ٦٧ من سورة القصص، والآية ٣٧ من سورة سبأ .

(٢) سورة الكهف، الآية : ١١٠ .

والعداء والحرب للمسلمين، وتبديل الحُكام لشرع الله، كل ذلك يدخل فى باب عدم الإخلاص لله ورسوله.

إن صور عدم الإخلاص تتجلى اليوم فى مناظر شتى لعل أهمها من وجهة نظر الميثاق خلع لقب الخليفة والحاكم بأمر الله على الحكام غير المسلمين، فضلاً من موالاة الشعوب الإسلامية للحكام الكفرة، والتحاكم إلى غير شرع الله، تلك التى تتمظهر فى صور الخروج عن شرع الله مثل ظهور ما يسمى بالعلمانية والطرق الصوفية. إن كل ذلك يدخل فيما يسمى بالضلالات والبدع. ولما كانت هذه الجماعة تبرأ إلى الله من كل بدعة تخالف عقيدة السَلَف الصالح، فإن عقيدتهم تتلخص فيما يلى :

١ - الإيمان قولٌ باللسان وتصديقٌ بالجنانٌ وعمل بالأركان، وهو يزيد وينقص، يقل بالمعصية ويزيد بالطاعة .

٢ - إن الله هو المستحق بالعبودية والخوف والرجاء والذكر والدعاء والحب والاستعانة والتفرغ والخضوع والإنابة.

٣ - لا نتبرك بشجرٍ ولا طيرٍ ولا حجرٍ ولا نتوسل إلى الله تعالى إلا باسمٍ من أسمائه أو صفةٍ من صفاته أو بعملٍ صالحٍ عملناه أو بدعاءٍ رجلٍ صالحٍ حى، ولا نطوق بطير ولا نذبح لجن، ولا ولىّ، ولا ننذر لأحدٍ من الخلق، ومن فعل شيئًا من ذلك، فقد أتى فعلاً من أفعال الشرك .

٤ - لا نرضى بغير الله حَكَمًا ومشرّعًا، كما لا نرضى بغيره ربًا. فمن خلق يملك، ومن ملك يحكم، وينهى ويأمر، ويقضى ويشرع، فهو أعلم بما يصلح .

(... ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) (١) .

إن العقيدة وفق ما جاء به ميثاق العمل الإسلامى تجعل الأمر لله كله، وتجعل الإقرار بذلك شرطًا من شروط الإيمان، وتجعل الالتزام به من متطلبات الإيمان وعلامات صدقه. أى أن العقيدة هنا هى رد كل شئ إلى الله انطلاقًا من قول الله تعالى : (فإن تنازعتم فى شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر)(٢) .

نفهم من ذلك أن ميثاق العمل الإسلامى ضد كل ما هو أرضى وكل ما يأتى من بشر، وهم فى ذلك يرون أن ثمة فارقًا كبيرًا بين ما يأتى من الله ورسوله، وبين أى منهج أو نظرية أرضية. إن هذا الأمر من وجهة نظرهم هو الذى يُخرج المسلمين من ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة وعظمتها .

٣ - فهم الجماعة الإسلامية:

إن الفهم من خلال ميثاق العمل الإسلامى يتحدد بالأساس فى ضرورة فهم الإسلام بشموله، كما فهمه علماء الأمة الثِّقات المتَّبعون لسُنة النبى صلى الله عليه وسلم وسُنة خلفائه الراشدين رضى الله عنهم. ووفقًا لهذا التعريف يرسم الخط الفكرى (الميثاق) للجماعة الإسلامية الفهم وفق الأمور التالية :

١ – أن مفهوم الإسلام وفهمه تغيَّر تغيُّرًا شديدًا، فلقد أضحى وكأنه

---

(١) سورة الملك، الآية : ١٤ .

(٢) سورة النساء، الآية : ٥٩ .

قطعة صلصالٍ تدور بين الأيدى، وكلما تلقفتها يدٌ سارعت بتغيير شكلها وصيغتها .

٢ - لقد صار من الطبيعى أن تسمع عن «مسلم اشتراكى» وآخر رأسمالى، وآخر تقدُّمى وليبرالى، وعلمانى، وآخر لا تروقه بعض الأحكام التى جاء بها الإسلام وضاعت صيغة الإسلام التى أرادها الله لهذا الدين، هذا وقد عاد الإسلام غريبًا .

٣ - لقد امتدت أيدى الأعداء مشوِّهةً لهذا الدين فى عقول المسلمين مزعزِعةً لثقتهم به، هادفةً من وراء ذلك صرف المسلمين عن دينهم، وتضليلهم.

٤ - إن الإسلام هو الاستسلام والخضوع والانقياد طوعًا لله رب العالمين، باتباع ما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم من أوامر ونواهٍ وحدود وقواعد تنظم حياة الناس وتنظم كل ما يلزم البشر فى كل زمان ومكان بما يكفل لهم تحقيق خيرَىْ الدنيا والآخرة .

٥ - إن فهم الدين لابد وأن ينطلق من أن الإسلام ينظم داخل منهجه كل ما تحتاجه البشرية، باعتبار أنه دين شامل كامل، وأنه بنيان متماسك ومتناسق مختلف عن كل ما هو أرضى .

لهذه الأسباب وذلك الفهم، فهم يرون ضرورة دعوة الإسلام لكل الناس : للكافر كى يسلم، وللعاصى كى يتوب، الأمر الذى يجعلهم ينطلقون من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وإلى الجهاد حتى تزول دولة الشر[١].

---

(١) ميثاق العمل الإسلامى، ص ٦١ - ٦٤ .

وتقوم خلافتهم التى تحكم بشرع الله وبسُنة رسوله صلى الله عليه وسلم. وتأسيسًا على الطرح السابق، فإن ميثاق العمل الإسلامى، أو أيديولوچية الجماعة الإسلامية ترى أنه نتيجةً لبعد دولة الشرك عن حدود الله والعمل بما هو أرضى، فإنهم يديرون معركتهم مع «الجاهلية»، وأن هذه المعركة لن يُكتب لها النصر إلا باتّباع السلَف الصالح، ذلك الاتباع الذى يعد صمام الأمان من الزيغ والضلال[١] .

٤ - هدف الجماعة الإسلامية:

إن هدف الجماعة الإسلامية يتحدد بالأساس فيما أمر به الشارع سبحانه وتعالى : (أن أقيموا الدين)[٢] . ذلك الهدف الذى يتمثل فى إقامة الدين كله فوق كل شبر من الأرض، وفى كل مجتمع. إن دعوتهم ليس لها حدود أو أوطان، وإنما تحمل صفة الكونية وينبغى أن نذكر فى هذا الإطار أن دعوتهم لإقامة الدين لا تتمثل فى إقامة بعض شعائره فحسب، وإنما إقامة الدين ليشمل الحياة كلها فى كل مفاهيمها. إن إقامة الدين من خلال هذه الجماعة يتمثل فى تحقيق أمرين، الأول هو تعبيد الناس لربهم، أما الآخر فيكون فى إقامة خلافة على نهج النبوة.

إن إقامة الدين من خلال هذه الدعوة يأتى بحسبان الخلق عبيدًا لله وأن الأرض ملك لله تعالى، لذا فإن الناس مطالَبون بالدخول فى دين الله، ومن ثَمّ وجب القضاء على النظام الحاكم المهيمن الذى لا يعمل بدين الله،

---

(١) ميثاق العمل الإسلامى، ص ٦٦ – ٧١ .

(٢) سورة الشورى، الآية : ١٣ .

والذى بالتالى هو غير إسلامى ويتحاكم بغير الدين. إن هذه الأنظمة والحكومات ما هى إلا أنظمة كافرة وجاهلية وساقطة الشرعية، لذا وجب أن تقوم خلافتنا لتخليص البشرية من صور الظلم والفقر. والواقع أن آليات هذه الجماعة تتمثل فى ثلاث صور رئيسية هى : الدعوة والحسبة والجهاد[1].

٥ - طريق الجماعة الإسلامية :

يرسم ميثاق العمل الإسلامى طريق الجماعة الإسلامية، فيرى أن فهم الإسلام بشموله، يعد المقدمة الضرورية للعمل به بشمول دون انتقاص، إذ أن فهم الإسلام فهمًا خاطئًا سوف يؤدى حتمًا فى طور العمل إلى حركة قاصرة تجعل من الإسلام حركةً متعديةً تخرج عن الحدود وتمضى وفق الهوى وتخوض غمار مجالات لم يشرعها الله .

وفى معرض الحديث عن الطريق الذى يجب على الحركة الإسلامية أن تسلكه للتعامل مع الواقع حولها، تقول : «... إننا خلال سعينا للإسلام سنجد أن هناك من يتفق معنا عقيدةً وفهمًا وغاية وهدفًا فنسارع لنمد يدنا لنعمل سويًا فى جماعة واحدة.. وسنجد أيضًا من يترك المعروف أو يأتى بالمنكر، فعلينا رده إلى الصواب أو ردعه عن غيه.. سنواجه المعاندين بشتى صنوفهم وعلى اختلاف غاياتهم ومذاهبهم وسيكون الجهاد هو سبيلنا معهم..»[2] .

---

(١) ميثاق العمل الإسلامى، ص ٧٥ – ٩٧ .

(٢) ميثاق العمل الإسلامى، ص ١٠٠ . راجع أيضًا فى ذلك إصدارات الجماعة الإسلامية، حتمية المواجهة، د . ت، ص ٥ .

والمتأمل للطرق والوسائل التى تطرحها الجماعة الإسلامية كصيغ للتعامل مع الواقع بكل متطلباته وتحدِّياته، وفى كل زمان ومكان سيجدها، كما سبق أن أشرنا قبل قليل، تتمحور حول ثلاث فرائض هى : الدعوة والأمر بالمعروف مع النهى عن المنكر والجهاد، وأن هذه الوسائل أو الغايات لا يمكن أن تتم إلا من خلال «الجماعة»، تلك التى يقصد بها العمل الجماعى المنضبط شرعًا والمنظم حركةً.

إن طرح الجماعة الإسلامية للأساليب آنفة الذكر (الدعوة والحسبة والجهاد) كطرق للتعامل مع الواقع، وكآليات لتغييره يعنى بداهةً أنها ترفض ما سوى ذلك من أساليب، ما أنزل الله بها من سلطان، وترفض ما عدا ذلك من طرقٍ مبتَدَعةٍ لم يأت بها الإسلام ولم يأذن بها الله. إنهم يرفضون كل الوسائل الأخرى التى تأتى بها الأنظمة الحاكمة أو على حد تعبيرهم التى من صنع الجاهلية، كأدوات فى العمل وكآليات للتغيير سواء من خلال مؤسساتها أو من خلال تنظيماتها. وهم فى ذلك يذهبون : «... لا يصح أن نقتبس طرقًا وأساليب من صنع الجاهلية ومن وحى منهجها للتعامل بها، وندعى أننا ساعون لنصرة ديننا ماضون لتحقيق أهدافنا. بل إننا بذلك نساعد الجاهلية فى سعيها للوصول إلى غاياتها وتحقيق أهدافها..»[1] .

إن الوسيلة فى الإسلام ليست شيئًا مبتكرًا أو خارجًا عن شريعته، فهى من صميم منهجه، كما أنها فى الوقت ذاته ليست أمرًا ثانويًا يمكن استبداله أو الاستغناء عنه. إن أية وسيلة أو منهج يأتى من قِبَل البشر

---

(١) ميثاق العمل الإسلامى، ص ١٠١ – ١٠٨ .

مرفوض لأنه يباعد بين العقيدة الإسلامية الحقيقية وبين الناس، لذا فهو نوع من العمالة، ومظهر من مظاهر الموالاة للجاهلية .

إن البشرية اليوم بكل مجتمعاتها ونظرياتها ونُظمها ومناهجها ما هى إلاَّ نتاج دعاوى باطلة، وأديان جاهلية، ظلت تبثُّ دعوتها حتى صار الأمر إلى ما صار عليه اليوم. لذا فإن مهمتهم تتلخص فى تعبيد الناس لربهم، وحتى يتم ذلك لابد وأن يدفعوا الثمن، يدفعوا كل ما هو غالٍ من أجل رضا الله ورسوله، أى أن الجهاد حتمية مفروضة عليهم، حتمية يفرضها الشرع وتُمليها طبيعة الدين، حتمية تدفعها طبيعة الجاهلية القائمة .

ويوضح ميثاق العمل الإسلامى أن الجهاد فى سبيل الله سوف يخرج الإسلام من المذلة إلى العِزة، وأن هناك مجموعةً من الأسباب تطرح قضية الجهاد بقوة فى هذه الأيام، وهذه الأسباب هى :

١ - يمليه علينا الإجماع المنعقد على وجوب خلع الحاكم الكافر. أليس حكام بلادنا قد كفروا باستبدال الشرع وبحكم الخلق بشرع جاهلى. أليس الجهاد واجبًا اليوم لخلع هؤلاء الحكام .

٢ - يمليه علينا الإجماع المنعقد على وجوب قتال أية طائفة ذات شوكة تمتنع عن شريعة الله. أليست الطوائف المهيمنة على بلادنا ممتنعةً عن أكثر شرائع الإسلام، أليس الجهاد واجبًا اليوم لإجبار هذه الطوائف على التزام ما امتنعت عنه من شرائع الله .

٣ - يمليه علينا الإجماع المنعقد على وجوب تنصيب خليفةٍ للمؤمنين. أليست الخلافة غائبةً عنا اليوم، ألم يسقطها أعداؤنا بالسيف والقهر. أليس الجهاد هو طريق عودتها .

٤ - يمليه علينا الإجماع المنعقد على وجوب الدفاع عن ديار الإسلام واسترداد ما استولى عليه الكفار منها. أليس الجهاد واجبًا لاسترداد فلسطين والأندلس وبلدان البلقان والجمهوريات الإسلامية السوفيتية وغيرها.

٥ - يمليه الإجماع المنعقد على وجوب تخليص أسرى المسلمين. أليست السجون والمعتقلات فى كل بقاع الأرض تعج بالألوف من أهل الإسلام. أليس الجهاد واجبًا لإنقاذهم (١) .

إنه لكل ما سبق يرى ميثاق العمل الإسلامى أنهم مأمورون بالقتال لتخليص ما نحياه اليوم من ذل ومهانة ولإنماء مرحلة ما يسمى «بالاستضعاف». إن الجهاد حتمية «غلّبتها» طبيعة هذا الدين، وطبيعة الجاهلية. إنهم يرون أن حتمية الجهاد لا يمكن أن تتم إلا من خلال الجماعة والعمل الجماعى، الذى هو فى نظرهم ترجمة واحدة ووحيدة لأمر الله ورسوله ألا وهو الوحدة والاعتصام .

إن المدقق فى فريضة الجهاد التى تسعى إليها الجماعة الإسلامية بقوة يستطيع أن يستدل منها على أنها سعىٌ لإقامة الدين فى الدنيا، الذى هو فى الوقت ذاته بمثابة مواجهة شاملة مع الجاهلية (الأنظمة الحاكمة القائمة) الكافرة .

---

(١) ميثاق العمل الإسلامى، ص ١٤١ - ١٥٩ . وأيضًا : حتمية المواجهة، المرجع السابق ص ١٧ .

٦ - زاد الجماعة الإسلامية :

الزاد لدى الجماعة الإسلامية هو تقوى الله، لأنّ التقوى هى مفتاح الخلاص من كل ما نحياه من ضعف وتخلف وهوان. إن هذه التقوى لن تدب فى النفوس طالما تبتعد عن عقيدة السلف الصالح، لذا من الواجب أن نتعلم هذه العقيدة ونتأدب بها. إن تقوى الله لدى هذه الجماعة هى العلم، بل كل العلم لأنها ينحصر فيها العلم بالله، والعلم بأمر الله. والواقع أن تقوى الله لن تتم إلا من خلال التحلى بالصبر الذى هو بالضرورة صبر على البلاء والمحن وشكر الله على كل ما يصاب به الإنسان .

٧ - ولاء الجماعة الإسلامية وعداؤها:

يتحدد ولاء الجماعة الإسلامية فى الولاء لله ولرسوله المبلغ عنه رسالته. أما عداؤهم فللظالمين. إنهم يحددون بذلك موقفهم منهم، مع حزب الله وضد حزب الشيطان، أى أنهم ضد الكافرين ومع المؤمنين .

٨ - اجتماع الجماعة الإسلامية :

إن أهداف الجماعة الإسلامية يستحيل تحقيقها بغير عمل جماعى منضبط شرعًا ومنضبط حركةً. إن الحركة الإسلامية لن تستطيع القيام بأهدافها دون تبنّى أسلوب العمل الجماعى، فالاجتماع ضرورة من ضرورات الحركة الإسلامية لتحصيل وتحقيق القوة وأسبابها. ولكن فى الوقت نفسه لا

تقبل الجماعة الإسلامية أن يكون العمل الجماعى بغير زاد، أو أن يكون العمل الإسلامى مثل العمل الحزبى يخوضه الناس بغير خلق .

إن اجتماع الجماعة الإسلامية لا بد أن تتحقق فيه شروطه الصحيحة تلك التى تتمحور فى التسلح بالزاد حتى لا يحدث وجود ميوعة فكرية وضياع للحق. إن الزاد الذى يتحدث عنه ميثاق العمل الإسلامى يتلخص فى الاعتصام بالكتاب والسنّه اعتقاداً وعملاً. إن اجتماع الجماعة الإسلاميةمن خلال الزاد سوف يوسع هذه الجماعة ويفرز الخوارج عن هذه الجماعة، ومن ثمَّ سوف يؤدى إلى تحصيل القوة وأسبابها(١) .

رابعا: مضمون الخطاب الإسلامى: ملاحظات نقدية:

إن المطّلع على ما عرضنا له من مضمون للخطاب الإسلامى قبل قليل، يستطيع أن يقف على نتيجة مهمة مؤداها أن الإسلام يعد منهجًا للحياة، وهو الحل الشامل لكل أزمة مجتمعية، ناهيك عن أنه يبعث الأمة الإسلامية من جديد، ويُرجع إليها قوتها ونهضتها على الصعيدين الإقليمى والدولى. إن الإسلام وفق ما جاء بميثاق العمل الإسلامى هو بمثابة أيديولوچيا، أو خط فكرى يجيب عن كل ما يثور داخل العقل سواء على مستوى العقيدة، أو حتى التنظيمات الفلسفية والفكرية والحاكمة التى دائمًا ما توصف بلا إسلامية أو كافرة أو جاهلية .

إن ظهور هذا الخطاب جاء فى مرحلة اتضحت فيها بجلاء معالم التبعية والتخلف لمجتمع إسلامى، أمام قوة عالمية دولية لا تعطى للدين أية أهمية، بل تسعى دومًا إلى تجهيله، وإبعاده، وتهميشه عن الواقع، لذا فإننا نرى أن استخدام مقولة إن الإسلام هو الحل من خلال هذه الجماعة، ما هى

(١) ميثاق العمل الإسلامى، ص ٢٤٧ – ٢٥٤ .

إلا محاولة لتجييش وتعبئة القوى الإسلامية ضد الأنظمة الحاكمية المحلية «الكافرة» من جانب، وضد القوى العالمية «العلمانية» من جانب آخر .

إن تحليلنا هنا لخطاب الجماعة الدينية «الإسلامية» من خلال ميثاق العمل الإسلامى لا يعنى أننا نستبعد مناهج علم الاجتماع الدينى، إذ ننظر إلى السلوك الدينى لهذه الجماعات من خلال علاقتها بجهاز الدولة (المجتمع المدنى). إننا مـن خلال الممارسات نرى أن الجماعة الإسلامية هـى جزء أساسى لا تنفصم عراه عن المجتمع المدنى فى مقابل مشروع الدولة .

وانطلاقًا من ذلك، فإننا نرفض فى تحليلنا المقولة النظرية التى ترى ضرورة الاكتفاء بالمستوى الطقوسى (المقدس) والثقافى عند تفسير أى سلوك، فضلاً عن كون الجماعة الإسلامية أحد معالم التعبير الجماعى. وعلى الرغم من اهتمامنا فى التحليل السوسيولوچى بالممارسات الروحية للجماعة، والعلاقة بين الدين والمجتمع، فإننا هنا نركز فقط على الأبعاد الأيديولوچية والسياسية للجماعة الإسلامية، أى أننا من خلال خطابها الدينى لا نهمل خصوصية السلوك الدينى فـى سياقاته المتعددة، بقدر مـا نركـز عـلى المستويات المتفاعلة داخل الجماعة الإسلامية [1] .

إن المدقق فى مضمون خطاب الجماعة الإسلامية يستطيع أن يؤكد أنه جاء كبديل للأيديولوچيات الأرضية الكافرة – من وجهة نظرهم – إذ جاء

---

(١) يعود الفضل فى هذه الأفكار إلى المصادر التالية :

– حيدر إبراهيم عـلى ، ملاحظات أولية فى دراسة الأسس الاجتماعية للظاهرة الدينية، فى : المستقبل العربى (مجلة)، العدد ١٢٦، بيروت، أغسطس ١٩٨٩ .

– عاطف العقله عضيبات، الدين والتغير الاجتماعى فى المجتمع العربى الإسلامى : دراسة سوسيولوچية، المصدر نفسه .

– المنصف وناس، الدين والدولة فى تونس ١٩٥٦ – ١٩٨٧، المستقبل العربى (مجلة)، العدد ١٣١، بيروت ١٩٩٠ .

من خلالهم مؤسسًا على شرع الله. ووفقًا لذلك فإن هذا الخطاب نجده يتّشح بشعارات الدولة الإسلامية، أو الثورة الإسلامية. المهم فى ذلك أن الجماعة الإسلامية أو الأيديولوچية الإسلاموية من حيث هى خطاب فهى تتصف بالأصولية الفكرية والنظرية، والتى جاءت لسد الفراغ الأيديولوچى نتيجة فقدانهم لمصداقية الأيديولوچيات الأرضية وتهاوى وضعف النماذج الغربية المستوردة .

إن الأيديولوچية الإسلامية هى تلخيص لخطاب حاول أن يربط بين قضيتى التاريخ والزمان. إن تحليل الخطاب الإسلامى يوضح لنا التماثل بين الأصولية بالمعنى الكلاسيكى وبين الأصولية الجديدة[1]. وهذا يعنى أن الأيديولوچية الإسلامية وخطابها ليست سوى قيم طقوسية وتشريعية وأخلاقية تسعى من خلاله إلى البحث عن نموذج مثالى – يفتقده الواقع – مؤسّس على شرع الله [2] .

ووفقًا لذلك يمكن القول إن الخطاب الإسلامى يسعى إلى تشكيل وعى أو إدراك للواقع وفق رؤية إيمانية «دوجماطيقية»، الأمر الذى يعنى أن هذا

---

(١) يقصد بالأصولية بالمعنى الكلاسيكى تنقية المجتمع الإسلامى مما لا يليق ويتفق مع شرع الله وسُنة نبيه عليه الصلاة والسلام، بينما يقصد بالأصولية الحديثة تطبيق الشريعة الإسلامية على كافة مجالات الحياة الاجتماعية. للمزيد راجع فى ذلك : مراد وهبة، الأصولية والعلمانية فى الشرق الأوسط، المنار (مجلة)، العدد ٤٩، القاهرة، يناير ١٩٨٥، ص ٨٥ – ٨٦ .

(٢) تشترك فى هذه القضية كل الجماعات الإسلامية فى العالم الإسلامى بدءًا من حركة الإخوان المسلمين وجماعة أنصار السُنة المحمدية وحزب التحرير وجماعة التبليغ حتى الجماعات التى تعمل ظاهرًا أو باطنًا اليوم. انظر : محمد أركون، الفكر الإسلامى : قراءة علمية، مركز الإنماء العربى، بيروت ١٩٨٧، ص ٧٢ .

الخطاب يسعى من خلال هذه الرؤية إلى سيادة تعصيب الأفراد من خلال عملية فكرية وسلوكية مستمرة. ويجدر الإشارة إلى أن هذه العملية تتم فى وجود تغييب عقلى ووعى صحيح يدرك ويفهم الواقع من خلال رؤية واقعية، كما أنه فى الوقت نفسه يحجب الرؤى الأخرى والجديدة. وإذا كانت الأيديولوچية بشكل عام تسعى إلى إيقاف العقل وإبطاء التفكير، فإنه وفقًا لدراسة الخطاب الإسلامى، فإننا نرى أنه ضرب من الأيديولوچية، أو هو الأيديولوچية ذاتها. لذا يمكن القول إن الخطاب الإسلامى ما هو إلا سلوك عاطفى وانفعالى لا يخضع فى تصرفاته للعقل أو المنطق .

والمتأمل لطبيعة الخطاب الدينى من خلال ميثاق العمل الإسلامى يجد أن النص – أو قل التراث – يمثل الإطار المرجعى له، أو هو بصورة أدق الخط الفكرى العام الذى يوجه الخطاب ويرسم له من خلال الخطابة والبلاغة فى اللفظ مدركاته وتوجهاته. إننا من خلال فكر الجماعة نستطيع الوقوف على القضايا التالية :

أولاً : أن الرجوع إلى النصوص والاحتكام إلى التراث فى ضوء معطيات الواقع ما هى إلا عملية لإيقاف التاريخ، وتزييف للوعى وللإدراكات وتعطيل للعقل والمنطق .

ثانيًا : أن النصوص والتراث التى يستند إليها الخطاب الإسلامى ما هى إلا استخدامات أيديولوچية من قبَل هذه الجماعة للوصول إلى السلطة، ومن ثم تأبيد أنفسهم كجماعة دينية حاكمة .

ثالثًا : أن الأيديولوچية الدينية من خلال التراث والنصوص ما هى إلا

رؤية للعالم فى حاضره أو مستقبله. أو بمعنى آخر، أن الخط الفكرى الذى تستند إليه الجماعة الإسلامية يستند فى واقعه إلى النصوص المتوارثة من الماضى لرؤية الحاضر والمستقبل .

وتأسيساً على ما سبق، يهم أن نوضح فى خاتمة هذا الفصل أن الخطاب الإسلامى بصورته الراهنة يعد نتاجاً لشروط مادية وفكرية ومجتمعية، فهو نشأ فى سياق تاريخى واجتماعى تأثر به وأثر فيه، أى أن هذا الخطاب ما كان له أن يوجد لولا تناقضات البنية التحتية وصراع الطبقات الاجتماعية فى التكوين الاجتماعى الاقتصادى المصرى. إن فهم الخطاب الإسلامى لا يتم دون فهم البناء الاجتماعى الاقتصادى الذى ساهم فى إفراز مقولاته وأثر فى شكله وطبيعته. أى أنه من اللازم فهم العناصر البنائية الشاملة التى ساهمت فى تكوين ذاته المرجعية .

إن فهم العناصر الشمولية التى ساهمت فى تكوين الذات المرجعية توضح لنا العوامل الموضوعية التى تساهم فى صياغة حركة الواقع الاجتماعى، والتى بالتالى تصيغ فهماً حقيقياً له يتسم بالموضوعية والقرب من الواقع. إن خبرة التفاعلات اليومية بين أصحاب الخطاب الدينى وجهاز الدولة، أو بقول آخر إن عملية إعادة التفاعلات الاجتماعية (الصراع الاجتماعى)، سمحت بالإفصاح عن وعى وفكر هذه الجماعة من خلال الشكل الدينى. إن الجماعة الإسلامية وفق أفكارهم نجدهم يديرون حواراً عنيفاً مع النظام الحاكم لتحقيق مهمة ضرورية ألا وهى الجهاد، من أجل إزالة الفساد ودحض الجاهلية. إن عملية إعادة إنتاج التفاعلات الاجتماعية

داخل التكوين الاجتماعى الاقتصادى المصرى طرحت الجماعة الإسلامية كنتاجٍ تنظيمى وعقلى له رؤيته وموقعه الخاص من الواقع القائم، الأمر الذى يجعلنا نذهب مع «جرامشي» بأنها تدخل فيما يسمى بالإصلاحات الثقافية والأخلاقية، أو هى بالأحرى رؤية جزئية للعالم من خلال جمود عقائدى وأخلاقى .

الفصل الثالث

نماذج الإسلام السياسى

من التراث إلى العنف

المحتويات

مقدمة

يعتبر الدين فى الوقت الراهن أحد العناصر المهمة فى تفجير الحركات الاجتماعية نتيجة استجابته المباشرة والفورية لمشكلات الواقع وتحدياته. وباعتباره أحد أشكال الصراع الطبقى المستند إلى الأصول والسلف كإطار أيديولوجى، فإننا نرى أن الحركات الدينية فى شكلها السياسى تمثل رد فعل طبيعى للتناقضات الاجتماعية والاقتصادية التى يشهدها المجتمع المصرى، وكردٍّ فعلٍ مباشرٍ لموجات الاضطهاد والممارسات ضدها. إن ما نطلق عليه، فى أدبيات علم الاجتماع السياسى، العنف الثورى هو ما تسميه الجماعات الإسلامية «بالجهاد» أو ما نسميه هنا بالعنف المقدس، ذلك المفهوم الذى ترى جماعة المسلمين أنه «فرض عين» على كل مسلم .

إننا هنا أمام طرح جديد لظاهرة جديدة قديمة، نحاول أن نخضعها للمنظار العلمى النقدى. إن إخضاع ظاهرة العنف الدينى للبحث السوسيولوجى يأتى وفق ما ذكره إميل دوركايم يومًا «... بأن هذه الظواهر تتمثل بالفعل فى الخيال لا من خلال صورة محددة فحسب، بل من خلال تصورات على نحوٍ فجٍّ أيضًا...» . فباعتبار أن العنف الدينى ظاهرة اجتماعية تحمل تفسيرات متعددة، فكان حتمًا علينا أن نحددها تحديدًا علميًا ، لذا رأينا ضرورة الوقوف على التصورات المختلفة لممارسة العنف واقعيًا.

وفى سبيل إنجاز ذلك، وعلى أساس الاهتمام بالموقف الكلى والنظر إلى الجزئيات من حيث علاقتها بالكل الذى يحتويها، يحاول الباحث فى الفصل الراهن أن يرسم التصورات المتباينة للجماعة الإسلامية وأنماط الوعى والتنظيم والموقف من بعض القضايا المجتمعية. ولما كان منهج دراسة الحالة يمكن أن يدرس فرداً واحداً أو جماعة أو تنظيماً اجتماعياً، فإن الباحث من خلال حدود دراسة الحالة يدرس مجموعةً من أعضاء الجماعة الإسلامية .

ويجدر أن نشير إلى أن الحصول على هذه الحالات كان أمراً مستحيلاً، إذ شابَهُ بعض المغامرة والمخاطرة أيضاً، خاصة إذا ما عرفنا حجم التشكك فى أى فردٍ يقترب من هذا المعترك. ونظراً لصعوبة الحصول على هذه الحالات فقد استخدم الباحث ما يسمى بأسلوب كرة الثلج فى الحصول على حالات الدراسة(١)، كما أن هذه الحالات لم تساعد الباحث إلا بعد الحصول على موافقة أمير الجماعة على بنود دراسة الحالة. لذلك سوف يلاحظ القارئ أن هناك بعض الإجابات فى بعض الحالات، والإجابات نفسها لا توجد فى أخرى. وهذا يرجع فى الحقيقة إلى اعتراض أمير الجماعة منذ البداية على بعض البنود، فضلاً عن تشكك الجماعة ذاتها فى أننا موفدون من قبل أجهزة الأمن المصرية (٢).

---

(١) حول هذه الطريقة فى اختيار والحصول على عينة الدراسة راجع :

- هناء محمد الجوهرى، الأعمال الإضافية غير الرسمية لدى العاملين بالحكومة : تحليل سوسيولوجى للظاهرة وعلاقتها بعملية التنمية فى المجتمع المصرى، رسالة ماجستير «غير منشورة»، كلية الآداب، جامعة القاهرة ١٩٨٩ .

(٢) سوف نكتفى هنا بعرض ست حالات فقط، نظراً لعدم وجود قسمات فارقة بين هذه الحالات. ويهم أن نوضح أن هذه الحالات كانت خمس عشرة حالة. جاءت الاستجابات فيها مكررة وليس بها أى عمق. إن هذا العجز لا يعود إلى قدرات الباحث، بقدر ما يعود إلى شُح المبحوثين نتيجة توجسهم الخوف والحذر منا .

الحالة الأولى

من تكفير المجتمع إلى الجهاد

يرى صاحب هذه الحالة أنه التحق بالجماعة من خلال الدعوة إلى حضور المؤتمرات والمعسكرات الإسلامية، والتي من خلالها تعرّف على هدف ومقصد الجماعة، وتعرّف أيضاً على قادة الجماعة. ومن خلال حضوره وانضمامه تعرّف أيضاً على فكر وجوهر هؤلاء الشباب الذين يدعون إلى الحق وإلى صراطٍ مستقيمٍ «... إن دخولى أو انضمامى (حسب سؤالكم) غيّر حياتى تماماً...» .

لقد كانت حياتى قبل الانضمام حياةً عاديةً، حيث كنت شاباً أصلّى فى الجامع ولا أعرف إلا الصلوات الخمس فقط، وكانت نظرتى إلى هذه الجماعات على أنها تضم رجالاً للدين يحاولون تطبيق الشريعة الإسلامية، ولكن بأساليب مختلفة تماماً عن الأساليب التى نعرفها من خلال معرفتنا الضئيلة بالإسلام. ومن خلال تشويه وسائل الإعلام لهذه الجماعات، كنت ناقماً على الجماعات الإسلامية، برغم أننى فى هذه الفترة كان لى أصدقاء كثيرون ينضمون إليها. إننى كنت غير مقتنع بفكرة الانضمام إلى الجماعات الإسلامية، ولكن بعد الانضمام لهم تغيرت هذه الفكرة تماماً .

وبالتالى فقد كان المجتمع بالنسبة لى لا يساوى شيئًا، ولم أشعر بهدف محدد كى أحققه، وكنت أعتبر أن كل إنسان فى المجتمع مسئول عن نفسه، وكانت علاقتى بأسرتى من الأمور التى لا أهتم بها ولا أراعى شعورها، وكنت كثيرًا ما أخالف أوامرها، وكنت أيضًا بعيدًا عنها. باختصار كانت علاقتى بهم تتسم بالسوء، ودائمًا ما كنت على خلاف مع أخوتى. أما علاقتى بأصدقائى، فقد كنت أصادق جميع الأعمار سواء الأكبر سنًا أو الأصغر، وكنت لا أراعى الاختيارالصحيح، وكنت لا أهتم بطريقة الاختيار الصحيحة، إذ كان أصدقائى معظمهم من أصدقاء كرة القدم . ويرى صاحب هذه الحالة أن كرة القدم ليست فقط هى التى كان يمارسها قبل انضمامه للجماعة، بل كان يشاهد التلفاز والأفلام والبرامج الفكاهية ولعب الزهر وقراءة القصص البوليسية. وكان له بعض الخصال «التى يمكن وصفها بأنها سيئة» مثل حب الذات والكسل وعدم الاهتمام بالعمل .

كانت هذه الأشياء كلها – من وجهة نظر صاحبها – تعنى انفصال الإنسان عن الدين، أو عن ربه. فيعنى ذلك أن فاعل هذه الأشياء هو عاصٍ لأوامر الدين، ولابد من تقويمه. والحقيقة أن تقويم الإنسان لابد أن يكون من الدين والبعد عن المفسدات السائدة فى المجتمع. ولما كانت الجماعة الإسلامية تبعد الإنسان عن الضلالة «... كل ضلالة فى النار...»، وتنمى حب الدين وحب الله وحب الرسول، فقد دخلت هذه الجماعة وانضممت إليها.

إن انضمامى للجماعة حوّلنى تمامًا. لقد تحولت من مجرد شاب لا

يعرف سوى أداء الصلاة إلى إنسان يمسك على دينه «... من يمسك على دينه كأنه يمسك على جمرة من النار...»، يحاول تغيير كل ما هو فاسد فى حدود الاستطاعة. ويضيف أيضاً، إن انضمامى للجماعة لم يغيرنى فقط، ولكن أثّر على ناسٍ كثيرين حولى، أبرزهم أعضاء أسرتى؛ فبدلاً من التجاهل لى قبل انضمامى للجماعة، فقد حاولت أسرتى أن تهتم بى لإثنائى عن التمادى فى الانضمام لهذه الجماعة، لأن سلوكى وتصرفى أصبح غريباً عنهم خاصةً فيما يتصل بترك ترف الحياة وتقصير الشارب وإطالة اللحية، ولكن لأن تعاليم الدين قد قومت سلوكى فبدأت أؤثّر فى كل من حولى. لقد تحول جزء كبير من أسرتى إلى الإسلام. فبدلاً من أن كانت أسرتى «إسمياً» مسلمةً، فقد تحولت بالفعل إلى الإسلام فى كل تصرفاتها .

لقد حاولت تطبيق الإسلام بالتدريج فبدأت من أسرتى. وذلك بالدعوة والكلمة الطيبة ثم بالترغيب فى دخول عباد الرحمن فى طاعته والتهديد من عذاب الله. لقد حاولت أن أطبق ذلك فى حدود طاعتى ولكن كانت هناك عقبة أمامى هى مخافة عقوق الوالدين. كنت أخشى الوقوع فى ذلك فكانت دعوتى لوالدىّ باللّين .

إن انضمامى للجماعة الإسلامية غيّرنى تماماً. لقد تغيرت مجموعة الأصدقاء، فبدلاً من «شلة الأنس» أصبح الآن لدىّ أصدقاء جدد يعينوننى على طاعة الله، ويبعدوننى عن جماعات السوء التى تنغمس فى الشهوات والملذات. هذه الجماعة التى لها نظرة ضيقة أهمها التمتع بالحياة القصيرة ونسيان الحياة الأبدية «الآخرة». لقد نسيت عاداتى القديمة مثل التى ذكرتها

من قبل «مشاهدة التلفاز، وسماع الأغانى، ولعب الكرة... إلخ»، وأصبحت لى الآن عادات جديدة أهمها ذكر الله وتلاوة القرآن وحب الرسول ونهج أصحابه، وحب الإخوان وجميع المسلمين، والصبر، والإيثار، وحب الجهاد..

إن انضمامى للجماعة الإسلامية غيَّر كثيراً من شخصيتى.. فبجانب ما ذكرته فقد غيَّر أيضًا رؤيتى للحياة. فبدلاً من تفكيرى فى نفسى، ونظرتى الضيقة للحياة، فإننى بدأت فى التفكير بالمجتمع والدولة. ورأيت أن كل العيوب يمكن أن يتم إصلاحها من خلال الدين، ومن خلال التمسك بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ويرى صاحب الحالة أن أهداف الجماعة الإسلامية تتلخص فى إقامة الخلافة الإسلامية ونشر العدل والمساواة بين الناس، وكذلك تطبيق الشريعة الإسلامية، وتحويل النظام الجمهورى إلى خلافة إسلامية. إن تحقيق ذلك سوف يقضى على الفساد الأخلاقى والإدارى الذى استشرى فى المجتمع نتيجة تطبيق القوانين الوضعية. ويرى أيضًا أن أهداف الجماعة تتمثل فى تعبيد الناس والتزامهم بشرع الله وسُنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ومحاربة اليهود، وإقامة خلافةٍ على منهاج النبوة. إننا من خلال ذلك نريد تحويل المجتمع من دار حرب إلى دار سلام. ولن يأتى ذلك إلا من خلال النظام الإسلامى .

إنه يرى أن الطريقة التى تستخدمها الجماعة لتحقيق أهدافها تتمثل فى ثلاث طرق رئيسية هى : الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والجهاد فى سبيل الله من خلال جماعة منضبطة بالشرع الحنيف، وتأبى المداهنة، أو الركون، وتستوعب ما سبقها من تجارب .

ويذهب أيضًا إلى أن الحكومة كافرة لأنها لا تحكم بما أنزل الله، وأيضًا لمحاربة الحكومة للتيار الإسلامى، ونستدل فى ذلك برأس الدولة «فرعون مصر» الذى قال على مسمع ومرأى : «إن النقاب والخمار الذى ترتديه النساء ما هو إلا خيمة»، لقد استهزأ الفرعون من شرع الله، هذه الأفعال هى التى تجعلنا نُصِرُّ على ضرورة إزالة الحكم القائم. إن عداءنا للحكومة يرجع إلى عدم تنفيذ شرع الله وتطبيق الحكومة الإسلامية والحكم بما أنزل الله .

ويضيف صاحب هذه الحالة، أنه بجانب وصف الحكومة إنها كافرة، فهى فاسدة وظالمة «من لم يحكم بما أنزل الله هم الكافرون والفاسقون»، كما أن القوانين التى تصدر عن هذه الحكومة قوانين كافرة وظالمة وفاسقة.

إننى قبل أن أنضم إلى الجماعة الإسلامية لم أكن أهتم بهذه الأمور لأنها لم تكن تمثل لى أى شئ، حيث كانت عندى نظرة خاطئة، وهذه النظرة تتمثل فى أن كل إنسان فى الدولة موضوع فى مكانه المناسب. والحقيقة أن نظرتى للأشياء تغيرت حينما تحطمت آمالى فى الالتحاق بكلية الشرطة. إنه بسبب الوساطة لم أدخلها. ومنذ ذلك الوقت أصبحت الدولة فى نظرى وسياستها كلها خطأ. إننى كرهت كل مؤسسات الدولة التى تقوم على المحسوبية والرشوة والنفاق. لذلك أرى ضرورة تغييرها وفق النظام الإسلامى الذى يقوم على العدالة .

هناك وجهات نظر ترى أن الجماعة الإسلامية، ليس فقط الجماعة الإسلامية، ولكن كل الشباب المسلم «مش بس الجماعة الإسلامية (الجهاد)

هى اللى متطرفة، ده كل الشباب اللى يعرف ربنا وملتحى» متطرف. وأحب أن أقول إن هذه التسمية، تسمية أمنية، لأننا خارجون عنهم. إن كل السياسات هى التى جعلتنا نقف فى مواجهتها لأنها لا تأتى إلا بالباطل، فإذا كنا على هوى الحكومة يقال عنا إننا شباب تقى ومؤمن. أما إذا قالت الحكومة عنا إننا متطرفون، فإن كل الناس سوف تصفنا بالتطرف. لقد قال فرعون مصر من قبل على الجماعة الإسلامية «إنهم شرذمة قليلة.. أى متطرفون» ولكن هذه وجهة نظره، فنحن أيضًا لنا وجهة نظر فى وصف المتطرف، فهو يعنى من خلالنا أنه الشخص الذى يحيد عن منهج وشرع الله.

إن عدم تطبيق الحكومة للشريعة الإسلامية وتطبيق شريعة الغرب. وليس شريعة الإسلام هو الذى جعل الحكومة تصفنا بالتطرف، وتمارس العنف ضدنا. إن ممارسة العنف من خلال الحكومة ضدنا هو الذى جعلنا نرد بعنف مثله «فالعنف يولِّد العنف». إن العنف الدينى هو السبيل الوحيد أمام مدافع ورشاشات ودبابات الحكومة .

وهناك من يرى أن هناك أسبابًا اقتصادية واجتماعية وثقافية تعتبر السبب فى تطرف الجماعات الإسلامية. أو بمعنى آخر، أنا قرأت فى كثير من الكتب والصحف أن تطرف الجماعات الإسلامية، وممارسة العنف من خلالها، تعود إلى أسباب اقتصادية واجتماعية وثقافية. وأنا أرى أن أسباب انتشار الجماعات الإسامية واستخدامها يعود أيضًا للعنف المضاد، يعود إلى بعد الحكومة وتعطيلها لتطبيق الشريعة الإسلامية، وتعارض أقوال

المسئولين مع أفعالهم، ففى حين تعلن الدولة أن الشريعة الإسلامية هى المصدر الرئيسى للتشريع، نجد أنها تصرح بتعاطى الخمور والتعامل بالربا، وتطبق قانون الطوارئ وتقف بقوة أمام ممارسات الإسلاميين فى الاقتصاد، وديونها كبيرة، وشركاتها خاسرة. إن هذه التناقضات هى السبب الذى جعل الشباب أول ما يهرب يهرب إلى الجماعات الإسلامية. ثانياً وهى أيضاً تجعله يمارس العنف لتغيير الحكومة والنظام القائم .

ولكن لا يمكن أن يتم ذلك إلا من خلال الجهاد. إن الجهاد هو السبيل الوحيد لإعادة الخلافة الإسلامية. إننا هنا نعتبر الجهاد فريضةً أساسيةً انطلاقًا من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من لم تحدِّثه نفسه بالجهاد، فليمت على مِلَّة غير مِلَّة الإسلام» .

إن ما سبق ليس هو سبب اعتراضنا على الدولة، ولكن هناك أسباباً أخرى أهمها أن الجماعة الإسلامية ترى أن النظام الحاكم فى مصر لا يحق له أن تقوم له قائمة، ويجب أن ينتهى ويزال، ونأتى «نحن» بآخر جديد، يقوم على شرع الله وينهج نهج السّلف. ويضيف صاحب هذه الحالة أنه لا يحقُّ لدولةٍ إسلاميةٍ أن تتبع دولةً أجنبيةً، لأن نظام الأخيرة غير مستمدٍّ من تعاليم الإسلام. فالتبعية لله ورسوله. إن هذه التبعية ضربٌ من ضروب الشيطان. فلا يحق لمصر أن تكون تابعةً لدولةٍ كافرةٍ، وإنما لابد أن تكون مستقلةً سياسيًا، وتابعةً دينيًا لله ورسوله، ولا تتبع خطوات الشيطان، الذى يغوى الإنسان عن كل ما هو حق .

ويرى صاحب هذه الحالة أن النظام الحاكم نظام فاسد لأنه نظام

مبنىً على الديكتاتورية. إن الدولة نتيجة اتباعها لسياسات الدول الغربية، فهى تحكم بشريعة كافرة بعيدة عن شريعة الإسلام، وهذه السياسات نعتبرها ديكتاتورية لأنها لا تعتمد على الشورى، فلابد من البعد عنها. إن النظام الحاكم الذى يتعامل مع الدول غير الإسلامية خاصةً الصهيونية والنصرانية لا يحق أن يكون نظامًا إسلاميًا، فلابد من تحديد هذه العلاقات، لأن كل من اليهود والنصارى يريدون تدمير الإسلام ..

إننا نقف موقفًا معاديًا من كل هذه الدول، مثلما نقف الموقف نفسه من النظام الحاكم والدولة. إن الدولة - داخليًا وخارجيًا - خاطئة، وينبغى أن تزول. وإلا لابد أن يطبق شرع الله فى جميع النواحى السياسية والاجتماعية والاقتصادية حتى تُصحَّح كل الأوضاع. إننا نرى أيضًا أنه ينبغى أن يُقضى على الإعلام الفاسد السائد الذى يباعد بين الدين والناس، ولا يقدم إلا برامج هابطة تساهم فى بعد الناس عن ربهم وتعمل على إبقاء الأوضاع على ما هى عليه، وإبعاد الناس عن التفكير عن مصالحهم .

ويرى صاحب هذه الحالة أن تشكيل وتنظيم الجماعة، أو حسب تعبيره «التركيبات الداخلية للجماعة الإسلامية» تعتمد على وجود أمير للجماعة يعتبر المسئول عن كل شئ يدور داخل الجماعة ويأتى بعده ما يسمى بمندوب الأمير أو نائبه، ثم بعض الأخوة المعيَّنين بمعرفة الأمير بناءً على الخبرة فى المجالات المختلفة (السياسية والاقتصادية والاجتماعية والمالية والثقافية). ومن جهة أخرى هناك من له خبرة فى فنون القتال والتدريب والألعاب خاصةً ما يتصل بدفاع الإنسان وهكذا.. وهناك أيضًا أخ

مسئول عن الاجتماعات والندوات .. ويضيف صاحب هذه الحالة أن كل جماعة فى كل محافظة أو مدينة أو قرية لها أمير خاص بها، وأيضًا نفس التصنيف السابق الذى ذكرته .

ولكنه يضيف أن الجماعات تختلف فى نشاطها من محافظة إلى أخرى حسب حجم الانحراف فى المدينة. فعلى سبيل المثال نشاط الجماعة فى الصعيد مختلف عن القاهرة مختلف عن دمياط مختلف عن الفيوم. ولكن أهم ما تتميز به هذه الجماعة هو طاعة أفرادها للأمير، فالأمير له السمع والطاعة بدون نقاش طالما أن ذلك فى غير معصية اللّه. ولكن هذا لا يعتبر حكمًا نهائيًا وفرديًا، لأن ذلك يدخل فيه ما يسمى بالشورى، فالمشورة بين الأعضاء ضرورية، وهى دائمًا ما تأتى من خلال الكتاب والسُنّة .

ودائمًا ما يتم الاتصال بين الجماعة وفروعها عن طريق مندوب خاص للأمير، حيث يسافر فى أنحاء الجمهورية لتوصيل المعلومات المراد توصيلها إلى كل إمارة، ثم يقوم كل أمير بتوصيلها إلى أعضاء جماعته. وعادةً ما يتم الاتصال فى المساجد والدروس بين الأعضاء من خلال الاجتماعات الشهرية أو الأسبوعية .

ويعلق صاحب الحالة على كيفية تدبير الإمكانيات المادية للجماعة، فيؤكد على أن الجماعة لا تعتمد على أيَّة تمويلٍ من خارج الجماعة. وأنه عُرضت على الجماعة بعض المساعدات عن طريق الدول، ولكن الجماعة رفضت ذلك، لأنها رأت أن هذه المساعدات سوف تبعدنا عن مرضاة وجه

الله. فالجماعة تعتمد على الذات فى تدبير احتياجاتها المادية، وخاصةً من خلال التبرعات والمشروعات الخيرية التى تُدِرُّ بعض الأموال .

أما فيما يتصل برؤية صاحب الحالة، وفقًا لتوجهه الإسلامى، لبعض القضايا، فيرى أن العمل هو أفضل الأشياء، حيث أن العمل فريضة وهو الذى يبلور الطبقات التى تعد نتيجةً طبيعيةً وأحد نتاجات العمل. أما فيما يتصل بعمل المرأة وتعليمها، فيرى أن التعليم فرض على كل مسلم ومسلمة، ولكن يجب أن تكون العلوم كلها علوم دينية «وليس العلم الدنيوى التافه...» مثل الفلسفة والموسيقى والفن. ولا بد أن تخرج المرأة فى حشمة ومتحجبة وليست متبرجة، لأن ذلك سيؤدى إلى الخلاعة والسفور. إننا مع تعليم المرأة الطب، والتربية (التدريس) لأننا فى حاجة إليهن فى الكليات التى تزدحم بالفتيات. إننا نريد تعليم المرأة أمور دينها حتى يمكن تعليمها لأسرتها أولاً ثم للفتيات التى تقابلهن فى قاعات الدرس. إننا من خلال الجماعة نرى ضرورة تعليم الفتيات التعليم النافع للمجتمع. أما بالنسبة لخروج المرأة للعمل، فمن الناحية الشرعية لا يجوز للمرأة الخروج من بيتها، ولو كان للعمل ضرورة فيشترط عدم التبرج أو السفور، أو التكلف فى الملابس حتى لا تكون فتنة .

أما وجهة نظره حول قضية تنظيم الأسرة، فيرى أنه إذا كانت متصلةً بموضوع تنظيم الرضاعة، وضرورة اتِّباع القرآن الكريم والأحاديث الشريفة فهى مقبولة، أما إذا كانت بغرض قلة الرزق أو الدخل فهى نوع من

الضلال، لأن فى ذلك يغيب عنا قول الله تعالى : (وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها)، إن اليهود والنصارى يعطون أموالاً كثيرةً حتى يكثر عددهم، وينتصروا على المسلمين. إنهم ضد قول رسول الله : «تكاثروا تناسلوا فإنى مباهٍ بكم الأمم يوم القيامة» .

أما قضايا التخلف والتبعية، فيرى أن الدين يحثُّ على التقدم، فيجب علينا أن نتقدم فى كل العلوم، ولكن لا نترك الدين، لأن الدين فيه كل كبيرة وصغيرة. أما التبعية فإننا ضد أن نكون تابعين لأية دولة، وخاصةً أمريكا. لأننا أصبحنا فى أيديها مثل قطع الشطرنج تحركها كيفما تشاء، بل يجب أن نكون تابعين لله ولمحمد عليه الصلاة والسلام وأصحابه .

وحول قضية الصلح مع إسرائيل، يؤكد صاحب الحالة أنها قضية مرفوضة ونحن ضدها. ويرى أن اليهود يصورهم القرآن بقوله تعالى : (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم)، ويقول صلى الله عليه وسلم : «ما خلا يهودى بمسلم إلا وفكر اليهودى فى قتله»، فكيف نتصالح مع هؤلاء الخونة، كيف نتصالح مع هؤلاء على حساب الدين. كيف نتصالح وهم أشد خلق الله فى الأرض. كيف نتصالح مع من قتلوا مائة وخمسين نبيًا فى يوم واحد. إن هذا الأمر هو خيانة لله ورسوله، إن الصلح معهم على حساب الدين، وما يسمى الآن بمؤتمر السلام المزعوم لن يتم لأنه ضد الله ورسوله . أما عن الديمقراطية، فإن مفهومها الذى أعرفه هو حكم الشعب بالشعب. ولكن برغم ذلك فهى بعيدة عن الواقع. لماذا نقول ديمقراطية بالمفهوم الغربى ونبتعد عما هو أشمل وهو الشورى. نحن ضد كل ما يأتى من الغرب، ومن أجل الغرب .

ويتلخص رأى صاحب الحالة حول مفهوم الرأسمالية فى أنه ضد الرأسمالية، لأن هذا النظام يتحدد فى وجود أموال فى يد طبقة من المجتمع تستعبد الناس من دون الله، وهو نظام يسعى إلى خدمة الفرد وضد الجماعة، وطالما تتزعمه الولايات المتحدة الأمريكية عدوّة الله، فنحن ضدها .

ويأتى رؤية صاحب الحالة لمفهوم الشيوعية فى أنها فرقت بين عباد الله، وهى أول من كفرت بوجود الله، ولكنها تؤمن بمصالح الجماعة على حساب الفرد، وهى عكس الرأسمالية فى كل شئ، ولكنها مثلها فى أنها تريد إنهاء الإسلام كعقيدة .

الحالة الثانية

من الحرمان الاجتماعى إلى الوعى الدينى

يرى صاحب هذه الحالة أنه التحق بهذه الجماعة من خلال دعوة أخوة إسلاميين فى فترة التعليم الثانوى. ويرى أنه لم يكن يعرف من قبل أية أفكار أو فكرة عن الجماعات الإسلامية إلا بعد أن انضم إليها، وتعرَّف على أفكارها. ويقول فى ذلك : «... إن انضمامى إلى هذه الجماعة غيَّر كثيراً من أخلاقى، حيث اكتسبت من خلالها مجموعةً من القيم الأخلاقية والدينية، ولقد تحول سلوكى إلى الأفضل...» .

ويضيف صاحب هذه الحالة، إن حياتى كانت ما هى إلا نوع من اللهو قبل الانضمام للجماعة، والعبث وخاصةً بعد حصولى على الدبلوم، وعدم وجود فرص للتعيين، بل على العكس كنت ناقمًا على الجماعة الإسلامية، لأن نظرتى فى ذلك الوقت كانت نظرة سطحية. ولكن بعد ما اقتنعت بفكرة الانضمام إليها من خلال بعض الأخوة المسلمين – كما ذكرت قبل قليل – تغيرت أفكارى تمامًا، إلى الحد الذى يمكن أن أصف نفسى أننى تغيرت تمامًا «حتى جلدى كمان اتغير». إننى أحمد اللّٰه على أنه

هداني، بعد أن كنت فى طريق الغواية، طريق الشيطان. لقد مَنَّ الله علىّ بالاستقامة وأبعدنى عن الضلال .

ويقول صاحب هذه الحالة هناك سببان وراء دخولى فى الجماعة الإسلامية، الأول يتعلق بموقف أيقظ فى شخصيتى ما يمكن أن أسميه «بحميَّة المسلم» حيث رأيت مجموعةً من الشباب المسيحيين يضربون شابًا مسلمًا ضعيف البنية، فتدخلت وأنهيت الاشتباك، وعرفت أن سبب هذه المشاجرة يتعلق بدفاع المسلم عن حرمته، حيث كان الطرف الآخر فى المشاجرة يعاكسون أخته. ومنذ ذلك الوقت، وقد حرصت كل الحرص على الدخول فى هذه الجماعة من أجل حماية حرمة المسلمين من أعداء الإسلام .

أما الموقف الآخر، فيتمثل فى أنه قبل دخوله إلى هذه الجماعة، فقد عرف أن أحد أعضاء الجماعة قد تزوج بمهر ٢٥ قرش، وتمكن هذا العضو من الحصول على عمل وسكن مناسب. إن الموقفين السابقين بجانب دعوة الأصدقاء لى يُعدَّان من الأسباب الرئيسية لدخولى عضوًا فى الجماعة الإسلامية.

لقد كان لانضمامى للجماعة الإسلامية أثرٌ كبيرٌ على نفسى حيث حوَّلنى من مجرد شاب لا يعرف شيئًا عن دينه سوى أداء الصلاة والصيام، إلى شاب مسلم يقول الحق ويجهر به ويدافع عنه، ولا يخشى فيه لومة لائم، ويحاول تغيير كل ما هو فاسد فى حدود استطاعته. إن دخولى أو انضمامى إلى الجماعة الإسلامية لم يؤثر فى شخصيتى فقط بل أثر أيضًا فى أسرتى، فقد تحولت الأسرة بكاملها إلى الدخول فى الجماعة الإسلامية. لقد تحولنا

جميعًا بفعل الهداية الربانية من مجرد أفراد فى المجتمع، إلى أفراد يعرفون ربهم حق المعرفة. لقد تحول تفكيرى من مجرد تفكير بالدنيا وأمورها العابثة، إلى تفكير دينى متعمق، وبذلك انصرفت عن لذّات الدنيا، وارتفعت بنفسى إلى الروحانيات وحب الآخـرة، والتزهد فـى الدنيا طمعًا فـى جنات الله.

لقد كانت نظرتى للحياة تافهةً وسطحيةً وماديةً، وتغلب عليها الأهواء والرغبات وتحقيقها يتم بأية وسيلة مهما كانت حرامًا أو حلالاً. وكانت تتملكنى بعض القيم الشاذة فى نظرى مثل مصاحبة أهل السوء واللهاث وراء المتع الرخيصة .

لقد تغيرت نظرتى للمجتمع، وبدلاً من اللامبالاة والسطحية، تحولتُ إلى التدبر فى أمور هذا المجتمع الذى يزدحم بالعابثين والمهتمين بأمور الدنيا. لقد دفعنى ذلك إلى حب هداية الناس جميعًا إلى صراط الله المستقيم. لقد وهبت نفسى وروحى إلى العمل فى سبيل الله ووجهه الكريم. إن انشغالى بأمور الآخرة غيَّر كل سلوكى، إذ عرفت كيف أتعاون على البر والتقوى، وكيف أستغل الوقت فى مكانه الصحيح، خاصةً فيما يتصل بتعبد الناس لله.

ويرى صاحب هذه الحالة أن تنظيم الجماعة أو تركيبها مثله مثل أى نظام له تدرج دقيق نابع من أحكام الإسلام. فهناك أمير عام للجماعة يقود عدة أمراء فى كل محافظات الجمهورية، ونحن هنا نتبع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إذا سار اثنان فليأمّر أحدهما الآخر...» والإمارة لا

تعنى التسلط، وإنما تعنى التسامح والشورى. فالأمير هو شخص عادى يأمر بما جاء به الإسلام وينهى عما نهى عنه، فلا طاعة ولا احترام للأمير فيما لا يقرُّه الدين «فلا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق». ويضيف صاحب هذه الحالة أن لكل أمير نائب، وهناك أعضاء متخصصون فى شئون الجماعة، بالإضافة إلى ذلك هناك مجلس شورى .

ويتم الاتصال بين أعضاء الجماعة دائمًا فى البيوت والصلوات الخمس والزيارات بين الإخوان. ولكن دائمًا ما تأتى كل تعليمات الأمير العام من خلال مندوبياته التى ترسل إلى المحافظات، التى بدورها تنقل إلى أمير المحافظة أو نائبه التى بدورها تصل إلى الأعضاء .

أما عن تمويل الجماعة، فيرى صاحب الحالة التى نحن بصدد العرض لها أنها تتم من خلال التبرعات الذاتية والمشاريع الصغيرة التى يقوم بها أعضاء الجماعة .

ويذهب صاحب الحالة إلى أن أهداف الجماعة الإسلامية تتمثل فى مجموعة من الأشياء أهمها تكوين خلافةٍ إسلاميةٍ عربيةٍ موحدةٍ وتطبيق الشريعة الإسلامية، ونشر الإسلام ليس على المستوى المحلى فحسب، بل على المستوى العالمى أيضًا. إننا من خلال هذه الأهداف نرى أنه يمكن تحقيقها عن طريق الدعوة الحسنة أولاً، والإخلاص لله والتمسك بكتابه وسُنة نبيِّه ثانيًا، والجهاد فى سبيله ثالثًا .

إن تطبيق الشريعة الإسلامية أمر مهم، وهو أحد أهداف الجماعة الإسلامية، فمهما ادعينا أننا وصلنا إلى الحضارة ولا ينبغى أن نعود إلى

الوراء، فهذا نوع من الكفر، لأن الإسلام فيه كل سبل التقدم. إن تطبيق الشريعة الإسلامية سوف يعود بالمسلمين إلى أيام الازدهار والتقدم للدولة الإسلامية الأولى، وأنه لكى نقيم الشريعة لابد من إلغاء كل القوانين الوضعية.

إن تطبيق الشريعة الإسلامية فرض على كل مسلم ومسلمة، وإلا فلما شهدنا ورضينا بالله رباً وبمحمدٍ رسولاً وزعيماً وبالإسلام ديناً. إن عدم تطبيق الشريعة الإسلامية وعدم تنفيذ أوامر الله ورسوله سوف يدخلنا فيما يسمى بباب النفاق . أى أن نُظهر بالسنتنا ما لا تخفيه القلوب «قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر ذنوبكم» .

إن تطبيق الشريعة الإسلامية واجب، ومن لا يطبق شرع الله فهو كافر وخارج عن الإسلام. قال تعالى : (ومن لم يحكم بما أنزل الله، فأولئك هم الكافرون). إن شريعة الله فى الأرض لم تطبق، لذا يمكن القول إن المجتمع الذى يبتعد عن الشريعة الإسلامية ما هو إلا حكومة جاهلية .

إننا إزاء موقف الحكومة من عدم تطبيق شرع الله نرى أن الدين والخلافة لن تعود إلا عندما تتبدل الدولة بأخرى تحكم بما أنزل الله. إن هذا هو موقفنا، لذلك نحن نسعى بكل الطرق والوسائل أن نزيل الدولة الظالمة. إننا نقف ضد هذا النظام الذى يطبِّق قوانين البشر لا قوانين الله. إن أغلب القوانين التى تطبقها الدولة بعيدة عن الإسلام ويجب تغييرها. إننا ضد الحكومة، ويجب أن تكون لنا القيادة من أجل نشر الدين. إننا من أجل هذا الهدف نقف ونجابه الحكومة ونخرج عن شرعيتها .

هناك آراء كثيرة حول الخروج عن شرعية النظام أو مجابهته، أبرزها ما يسمونه بالتطرف. والتطرف من وجهة نظرى هو الخروج بقول أو فعل عن النظام، ما دام النظام صالحًا فى الدين والدنيا، ولا يظلم أحداً، فعندئذ يعتبر التطرف تطرفًا بمعناه الصحيح. والمتطرف هو الشخص الذى يصل فى غلوّه فى الدين إلى مخالفة نصوص القرآن والسنّة وإجماع العلماء والأمة. فالتطرف هو الخروج عن الدين وابتداع أمورٍ محدثةٍ عن الدين. وأحب أن أشير هنا إلى أن الجماعة تستخدم القوة والعنف تجاه الحكومة لا تجاه الناس. إننا نستخدم العنف مع الذين يستخدمونه ضدنا، إننا فى موقف دفاع عن النفس، فالعنف الذى يصدر من الجماعة الإسلامية هو سلوك شرعى لأنه دفاع عن النفس أمام قوة ظالمة .

إن التطرف هو الابتعاد عن الدين، فإذا كان الإعلام قد وصف الجماعة الإسلامية بالتطرف، ونحن نمسك عليه كجمرة من النار، فإننا نرى أنه حكم جاهلى وأعمى، لأنه لا يتفهم أنهم هم الذين ينطبق عليهم مفهوم التطرف والكفر .

وإذا كانت الحكومة فى مواجهة وصفنا بالتطرف، فهى أيضًا تغالى فى تطرفها وذلك فى عدم تطبيق الشريعة الإسلامية، فلابد من استخدام العنف والقوة لإزالة هذا النظام الكافر وإقامة الخلافة الإسلامية.

إننا نتعامل هنا وفقًا للحديث القائل : «من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، ومن لم يستطع فبلسانه، وإن لم يستطع فبقلبه» ، ونحن لا نُكره أحداً، ولم نجبر أحداً. ولكن إننا نجبر الحكومة التى تحلل بفسادها كل شئ. ولكن

لن يدوم ذلك طويلاً فللّه العزة ورسوله والمؤمنين «فلا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق». لقد قال سيدنا عمر رضى الله عنه : «إن رأيتمونى على حقٍّ فاتبعونى، وإن رأيتمونى على باطل فقوِّمونى، فرد رجل وقال بسيوفنا، رد عمر وقال : «الحمد لله الذى جعل فى أمة محمد من يقوِّم عمر بسيفه» .

أما عن تصورات صاحب الحالة للمفاهيم الآنية فهو يقول إنه يجب أن تمزج الثقافة والتعليم بالثقافة الإسلامية، وأنه لكى تخرج الحكومة من أزمتها وتبعيَّتها ينبغى أن تلتزم بتعاليم الدين وأوامر الله ونواهيه وأنه لكى تسود الديمقراطية يجب الرجوع إلى كتاب الله، إن كل شئ لابد من ردِّه إلى الله ورسوله .

الحالة الثالثة

الفراغ الأيديولوجى والقطيعة مع المجتمع

يرى صاحب هذه الحالة أن انضمامه لهذه الجماعة يرجع إلى عام ١٩٨٤، حيث جُذب إليها عن طريق أحد زملائه فى العمل، حين دعاه إلى الصلاة مع الجماعة فى أحد المساجد. إن سبب انضمام صاحب هذه الحالة يعود إلى سببين، الأول هو حبُّه لنشر الدين، وإعلاء كلمة الحق، وتطبيق الشريعة الإسلامية «إننى أتانى وازعٌ روحىٌّ من عند اللّه بأن هؤلاء الأخوة يسعون من أجل صلاح الإنسان عن طريق الإسلام فاشتركت معهم». ولكن هناك موقف آخر جعله ينضم إلى هذه الجماعة، فهو يقول : «لقد واجهت مواقف كثيرة جعلتنى التحق بالجماعة، وأتمسك بها، وعانيت قسوةً وافتراءً وتعذيباً بغير حق من قلوبٍ لا تعرف الرحمة والسماح» .

لقد التحقت بالجماعة نتيجةً لمسئوليتى نحو دينى ووطنى. كنت أعمل مع كل صوت ينادى بإعادة الناس إلى دينهم حتى هدانى اللّه عز وجل للعمل بهذه الجماعة. إن التحاقى بالجماعة غيَّر كثيراً من أخلاقى وسلوكى، إذ تأثرت ببعض الناس الذين وجدت فيهم القدوة الحسنة. لقد ندمت كثيراً على

عدم التحاقى بالجماعات قبل هذا التاريخ (يقصد تاريخ التحاقه بالجماعة) نظرًا لخضوعى لأهواء الشيطان، إننى أحمد الله على أنه هدانى إلى صراطه المستقيم.

إن التحاقى بهذه الجماعة سبَّب لى بعض المشاكل مع أسرتى. فلقد عارضتنى الأسرة فى ذلك، والحقيقة أن السبب فى ذلك لا يعود إلى أن هذه الجماعة سيئة أو سمعتها غير جيدة، بالعكس إن المعارضة جاءت من أشكال الممارسات التى تتم من قِبَل الحكومة تجاه الجماعة «إن الأسرة كلها كانت مشفقة علىَّ وعلى أمثالى من هول ما تقوم به ضدنا» .

لقد أردت من داخلى الرجوع إلى الله والدين الإسلامى حيث أن الدين عند الله هو الإسلام. إن دخولى الجماعة عرَّفنى كيف أتحاب مع الأخوة فى الله، من أجل إقامة الخلافة الإسلامية. لقد كانت حياتى مليئةً بالبدع والخرافات مثل التضرُّع لأولياء الله، وما إلى ذلك. فالإنسان لا يطلب إلا من الله. فقد قال تعالى : (ادعونى استجب لكم). وقال الرسول صلى الله عليه وسلم : «كل بدعةٍ ضلالة، وكل ضلالةٍ فى النار». إن الدخول فى الجماعة جعلنى لأول مرة أعرف أشياء كثيرة عن الإيمان الصحيح. إن معرفتى بهذا الأمور تاثرت بها أسرتى وأصبح جزء كبير فيها يهتم بأمور دينية لأنهم رأوا أننى أتبع أسلوب الدين الصحيح .

لقد تعلمت كيف نتعامل مع الواقع، وأن نلتزم بتقوى الله ومخالفته وترك ما كنا نخالف به الله مثل رؤية السينما والتليفزيون وما يعرضه الإعلام السيئ، وأيضًا التعامل مع البنوك التى تتعامل بالربا، إننى أمام كل ذلك قد

وهبت نفسى إلى الله والدعوة فى سبيله لنشر الوعى الدينى الصحيح، والعمل على تأليف القلوب وتوحيدها على كتاب الله وسُنة رسوله .

لقد كنت متمسكًا ببعض العادات والتقاليد الخاطئة الموجودة فى المجتمع، ولهذا كنت أنظر له نظرة عادية، وذلك لأنه لا يضر ولا ينفع. كنت أمارس كل الأنشطة، وخاصةً الرياضة، واستمع للراديو وأشاهد التليفزيون وأذهب للسينما. وبعد أن عرفت أنها من أفعال الشيطان، لأنها تلهو بنا بعيدًا عن ذكر الله، فقد باعدت بينى وبينها. إننى أشفق على أمثالى الذين يعيشون فى هذا المجتمع، إنهم نسوا حقيقة وجودهم فى الحياة، ولم يتذكروا إلا ما سيوقع بهم فى مزالق الكفر، لقد امتنعت عن شرب السجائر والشيشة، وكذلك امتنعت عن كل ما يغضب الله. لقد اكتسبت مجموعةً من القيم بعد الانضمام إلى هذه الجماعة، أستطيع أن ألخصها فى معرفة الله حق المعرفة، ثانيًا احترام الناس وحبهم جميعًا واحترام عقليتهم، ثالثًا الوقوف بقوة أمام الظلم وخاصة ظلم الحكام والأقوياء على الضعفاء .

ويذهب صاحب هذه الحالة إلى أن أفكار الجماعة كلها تتركز فى اعتبار المجتمع مجتمعًا جاهليًا، ما عدا الذين على فكر الجماعة، أى أن المجتمع كله كافر ومرتد عن الجماعة الإسلامية، ويجب محاربته. ولكن هذه الحرب يجب أن تسبقها الدعوة والأمر بالمعروف لتغيير الفساد الذى استشرى فى المجتمع بشكل قوى. إننا نرى الأمل، الأمل الذى يتمثل فى إقامة الدولة الإسلامية. إننى أرى أن الجماعات الأخرى جماعات غير صحيحة وبعضها كافر .

أما عن تنظيم الجماعة فيرى أنها تتكون من الأمير فى القمة، وهو أشد أعضاء الجماعة إيماناً، فهو بشر يخطئ ويصيب، ولكنه يعتبر الأفضل علمياً وأخلاقياً. وبالتالى فهو مرشد وموجِّه إسلامى، لا ينفرد برأيه، ولكنه يطبق نظام الشورى «إن أحسنت فأعينونى، وإن أسأت فقوِّمونى». ثم يأتى بعد ذلك أعضاء الجماعة الذين يقومون بأدوارهم فى كل المجالات .

وعن تمويل الجماعة، يرى صاحب الحالة التى نحن بصدد عرض أفكاره، أنه يأتى من خلال تبرعات الأعضاء فى الداخل، وأيضاً من خلال الجماعات الإسلامية المنتشرة فى الوطن العربى وخاصة البترولية منها. ويظن الناس أن تمويل الجماعة يأتى من جهات أجنبية، ولكن بحمد الله منذ أن قامت الجماعة، لم تأخذ أى عوْن مادى من جهة أجنبية سوى ما يدفعه أعضاؤها من قوتهم وقوت أبنائهم. إننا نقطع بعض النقود من رواتبنا، وهناك مشروعات يؤسسها أعضاء الجماعة، وذلك عن طريق التبرعات التى تُجمع يوم الجمعة فى المسجد. أى أن التمويل ذاتى ولا يأتى من خارج الجماعة .

ويرى صاحب هذه الحالة أن الحكومة تحارب الجماعة وتطارد الإخوان فى كل مكان، وتشوِّه صورتهم بين الناس عن طريق أجهزتها الإعلامية. ولكن أرى أن الإنسان لديه وازع دينى وروحى يحتِّم عليه العطف على الإخوة الذين ليس لديهم سوى عبادة الله والجهاد فى سبيل الله وإعلاء كلمة الحق ونشر الدين. إن الحكومة القائمة لا تعمل بكتاب الله وسنته، لذا فإننا نرى أنها فاسقة. إنه ينبغى أن تقوم الدولة الإسلامية التى تحكم بشرع

الله، فالشريعة صالحة لكل زمان ومكان مهما تبدل الحال وتغير. إن الحكومة تستخدم قوانين وضعها الإنسان لذا فهى قوانين غير صالحة ما دام هناك قانون ربانى لا يترك صغيرة ولا كبيرة. لقد جاء الله بشرع لا يأتيه الباطل من خلفه أو من بين يديه.

نحن كمسلمين رضينا بالله ربًّا وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولاً ونبيًّا ولا نرضى حكمًا أو قانونًا يحكمنا غير ما رضينا به، فإذا كان يوافق شرع الله سمعنا وأطعنا، وإن كان عكس ذلك، فلا طاعة لمخلوقٍ فى معصية الخالق.

إننا نريد خلافةً إسلاميةً، لأن الخلافة الآن هى فريضة غائبة وجب على المسلمين إعادتها، ويأثم كل مسلم إن لم يعمل على إعادتها. إن نموذجنا الأمثل هو الدولة الإسلامية، وإن خير نموذج فى ذلك هو خلافة عمر بن الخطاب التى اتسعت فيها مساحة الدولة الإسلامية.

إن أسس ومبادئ الجماعة تقف موقفًا معارضًا من الدولة، فنحن نعارض الحكومة معارضةً صريحةً لأنها تبتعد عن الطريق القويم، ويسود فيها نوع من الإهمال خاصةً فى المال العام، كما أنها تأتى بأخطاء فادحة خاصةً فى الإعلام. إننا لكل فسوقها نعارضها، ولذلك يقولون عنا متطرفين. ولكن لو أدركت مفهوم التطرف لاتضح لك أن هذه الحكومة هى التى يمكن أن نصفها بذلك .

إن مفهومنا للتطرف يتخلص فى أنه الخروج عن المألوف وإنشاء الفساد، وإحداث أفعال تجعل الأمن مشوشًا فى الداخل. أو بمعنى آخر، هو

الخروج عن القوانين الإلهية التى شرعها الله سبحانه وتعالى، وهناك من يقول إن العنف هو سبيل الجماعة الإسلامية، وهذا خطأ شائع، لأن سبيلنا يتلخص فى إرضاء الله ورسوله. فليس هدف الجماعة هو العنف أو الإرهاب، وإنما هدفنا هو سعادة الناس ليس فى الدنيا فقط، وإنما فى الآخرة.. ولكن لن يتم ذلك إلا برفع راية لا إله إلا الله محمد رسول الله .

فالتطرف فى مفهومنا هو البعد عن الدين الإسلامى، فكما يقول الشيخ الشعراوى إذا أمسكت بعصًا من المنتصف، فإنك تكون أمسكت بكل شئ. أما إذا بعدت عن المنتصف، واتجهت للأطراف، فإنك تكون قد بعدت عن الجوهر، كذلك فى الدين، فإذا بعدنا عن الجوهر نكون متطرفين، فمن يكون حينئذ متطرفًا. لقد أصبح هذا المفهوم سُبَّةً لكل مُلتحٍ، وأيضًا لكل من يعادى الحكومة، حتى ولو كان على سبيل القصد. ولكن ألست معى أن الحكومة أيضًا متطرفة، لا لأنها تبتعد عن الدين الصحيح فقط، ولكن أيضًا لأنها تتطرف فى تعاملها مع من تسميهم متطرفين .

نحن ضد الحكومة لأنها تمارس ما يسمى بالاعتقال العشوائى، وتطارد وتلاحق أعضاء الجماعة. فى كل مكان «إيه رأيك فى واحد بيحرمك من إنك تعبد ربك الذى خلقك وسوّاك فى أحسن صورة، مش ممكن أنك تحاول أن تقضى عليه ؟» هذا هو موقفنا بالضبط .

ويذهب صاحب هذه الحالة إلى أنه بجانب الهدف الرئيسى للجماعة المتمثل فى إنشاء الخلافة الإسلامية فإن أهداف الجماعة تتلخص فى أن الله غايتنا والرسول زعيمنا، والموت فى سبيل الله أسمى أمانينا، وهذا يعنى ضرورة تحكيم كتاب الله فى الأرض. أى أن هدف الجماعة هو الدعوة إلى

الله وتطبيق الشريعة الإسلامية، وإقامة الخلافة الإسلامية. إن الجماعة تريد تطبيق الشريعة عن أى طريق سواء السلمى أو الثورى، وطالما أن الحكومة القائمة تصمُّ آذانها عن الطريق الأول، فلا يبقى أمامنا إلا الطريق الثورى وذلك لإقامة ما يلى :

أولاً : الالتزام بتعاليم الدين وتطبيق الشريعة الإسلامية .

ثانيًا : الرجوع إلى كتاب الله وسُنة النبى صلى الله عليه وسلم .

ثالثًا : حـل مشكلات الجماهير والـوقـوف أمـام عمليات استغـلال المواطنين من قِبَل الدولة .

رابعًا : الحكم بما أنزل الله، ونشر الوعى الدينى والأخلاقى القويم .

خامسًا : استبدال العلوم الوضعية بأخرى دينية .

ويحاول صاحب الحالة أن يعاود الحديث عن الأمير مرة أخرى، فيرى أن الأمير على مستوى الفيوم يعتبر من أشد المتمسكين بقيم الجماعة، فهو أيضًا نائب الأمير العام فى القاهرة، وهو يعدُّ الرجل الثانى بعده. لقد كان يبلغ من العمر حوالى ٤٢ سنة، وحاصل على بكالريوس زراعة الفيوم، وكان يجيد لعب الكاراتية والكنج فو والتايكندو، وكان يقوم بتدريبنا، وكان يعلِّم الأخوة كيفية الدفاع عن النفس، وكذلك تغيير المنكر. لقد كنا نستخدم القوة فى تغيير المنكر وأذكر لك حدثين من حوادث استخدام العنف، فقد كان هناك رجل من الصوفية لا يهمه إلا أكل الكِشك، وقد نصحته الجماعة أكثر من مرة بألا يأتى بأفعال مخالفة للدين، ولكنه لم يرجع عنها، لذلك كلَّف الأمير بعض أفراد الجماعة بعمل كمين له، وبالفعل تم إيقاعه وضربه حتى

انتهى عن تصرفه. أما الحدث الآخر فهو أنه فى إحدى الليالى جاءت فرقة للرقص والموسيقى فى القرية لإقامة إحدى الأفراح، فكلّف الأمير مجموعةً من الإخوة لإنهاء هذا الفرح، وقد تم ذلك، ومن يومها ولم تأت للقرية أيّة فرقة أخرى .

أما موقف المبحوث من بعض القضايا، فيرى أن تعليم المرأة واجب ولكن في مجال يختص بها، ويبعدها عن الاختلاط. وعن خروجها للعمل، فيرى أنه يمكن ذلك إذا ما دعت الضرورة لذلك. وعن تنظيم الأسرة فهو غير موافق عليها بالمرة. وعن التخلف والتبعية، فيرى أنه لابد أن تكون هناك قيادة إسلامية؛ فلا تبعية لشرقٍ أو لغربٍ وإنما التبعية للإسلام. وعن موقفه من الصلح مع إسرائيل فهو غير موافق عليه لأن إسرائيل تريد أن تأخذ كل أراضى العرب من النيل إلى الفرات. وعن الديمقراطية يرى صاحب هذه الحالة أنها تعنى حكم الشعب بالشعب ولصالح الشعب، ولكنها غير مطبّقة. وعن الرأسمالية فهو لا يعرف عنها، وعن الشيوعية، فيرى أنها دولة كافرة وجاهلية .

الحالة الرابعة

الاغتراب السياسى والعودة إلى الأصول

يرى صاحب هذه الحالة أنه انضم للجماعة الإسـلامية التى يتزعمها د . عمر عبد الرحمن منذ أن كان فى الصف الثالث الثانوى، ويرجع انضمامه إليها إلى الأمير ذاته، حيث تعلق بشخصية الأمير من خلال خطبه التى كان يلهب بها شعوره ويوجِّهه. لقد استمع صاحب هذه الحالة إلى الأمير فى أول مرة أثناء تلقيه درسه الخصوصى الذى كان يقترب مكانه من الجامع الذى يلقى فيه الأمير دروسه الدينية «كنت آخذ درسًا خصوصيًّا فى إحدى المواد الدراسية، وأنا فى المدرسة الثانوى، فكان منزل الأستاذ بجوار مسجد د . عمر، وعلى أثر إعجابى بكلامه الذى شدنى، ذهبت لأصلى المغرب، ثم بعد ذلك انضممت إلى الجماعة» .

ويقول صاحب هذه الحالة، أنا اقتنعت بحديث وشخصية الدكتور عمر، وكلامه جعلنى أنضم إلى هذه الجماعة، بالإضافة إلى أن فكر الجماعة يعطى الأمل فى حل المفاسد التى يعانى منها المجتمع بالأدلة الشرعية .

لقد كان قرب المسجد من مكان الدرس هو السبب فى الانضمام إلى الجماعة، والرجوع إلى الحق، والاقتناع بأن ما تقوم به هذه الجماعة من

نشرٍ لكلام الله، وإقامة شرعه، هى الأسباب الحقيقية التى جعلتنى أنتمى إلى الجماعة الإسلامية .

لقد نشأت منذ صغرى منطويًا جدًا، والأسرة كانت منزعجةً لهذه الصفة، حتى أن والدتى كانت تدعونى دائمًا إلى الاتصال بأقاربى، وكانت الأسرة تدفعنى باستمرار إلى مشاركة أصدقائى فى الاستذكار حتى لا يؤثر هذا الانطواء على شخصيتى، وأحب أن أقول شيئًا مهمًا : إننى برغم انطوائى، فإننى كنت متفوقًا فى دراستى، فقد استطعت أن أجمع بين الصفين الخامس والسادس الإبتدائى فى سنة واحدة، لقد كنت دائمًا نَهِمًا فى القراءة، والحقيقة أن الأسرة كانت تشجعنى على ذلك، حيث كان والدى دائمًا ما يزوِّدنى بالكتب الثقافية، كما أننى كنت مواظبًا على قراءة جميع الجرائد، وكنت أرى أن جريدة الوفد هى التى تنشر الأخبار الصادقة، وذلك قبل أن أنضم للجماعة. وفى ذلك الوقت كنت فى حالة التكوين الثقافى والشخصى .

ومن خلال قراءاتى المتعددة استطعت أن أقف على العديد من أنواع الحكم والسياسات المختلفة، وعرفت أيضًا أن أميِّز بين مختلف أنظمة الحكم التى عرفها المجتمع المصرى، وأحدد إلى أية فترةٍ ينتمى نظام الحكم. فعلى سبيل المثال استطعت أن أعرف أن نظام الحكم الحالى أفضل من حكم عبد الناصر والسادات، لأن لكل منهما أخطاء فادحة كان بها كثير من الأخطاء. فعبد الناصر كان ديكتاتورًا وطبَّق الاشتراكية دون أن يفهمها، وكذلك السادات طبَّق سياسة الانفتاح الاقتصادى التى جعلت أو أنشأت مجموعة من «الحرامية» وأصحاب رؤوس الأموال .

كنت فى هذه الفترة أكوّن رأيًا فقط. كنت أقرأ حتى أصل إلى هذه الاستنتاجات، فلم يكن أمامى سوى المذاكرة والنجاح والتفوق، حتى يمكن من خلال موقعى أن أتحدث وأقدّم رؤيتى للمجتمع الذى أعيش فيه، وأقيِّم الواقع القائم، وما يحدث حولي. أحب أن أذكرك أن ذلك يتصل فقط بفترة ما قبل انضمامى للجماعة الإسلامية .

ويضيف صاحب هذه الحالة، إننى قبل التزامى - ويقصد هنا انضمامه للجماعة الإسلامية - كنت مثل أى فرد فى هذا المجتمع، أشاهد التليفزيون واستمع للإذاعات، ومثل ما ذكرت من قبل أننى أقرأ جميع أنواع الثقافة، وكنت أقرأ حتى ما يخالف الإسلام. أما الآن فقد أقلعت عن كل ما كنت أفعله، لأننى منذ أن عرفت الله من خلال الجماعة الإسلامية، وأنا أحدد ما أقرأه وما أسمعه. لإننى أرى أن كل ما يقدّم من خلال الإذاعة والتليفزيون وحتى بعض الجرائد تُبعد الإنسان عن الله وسُنة رسوله صلى الله عليه وسلم. لقد عرفت الله حق المعرفة، وعرفت كيف أميِّز بين ما يبعدنى عن الله وما يقربنى إليه .

إننى من خلال الجماعة الإسلامية «تنظيم الجهاد» عرفت أن هذا المجتمع كافر، وأنه ينبغى تغييره، وهذا التغيير لن يتم إلا بوجوب قيام الخلافة الإسلامية. هذا الشئ الذى يُعتبر هدف الجماعة الأسمى، والذى ترى أنه لن يتحقق إلا من خلال ثلاثة أشياء هى :

١ - الدعوة الفردية .

٢ - الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

٣ - جهاد الطغاة من الكبار والحكام الذين يسعون فى الأرض فساداً .

إننا نسعى إلى تغيير المنكر «وهو تحويل المجتمع الكافر إلى مجتمع مسلم» باليد، نعم باليد، ولكن لابد أن يسبق هذا الفعل عدة أشياء هى : الوعظ، والتهديد، وبعد ذلك يأتى استخدام اليد. ألا ترى أن هذه هى الأدوات التى يمكن أن تكون مثاليةً من أجل الإتيان بالمجتمع الإسلامى.

إننا من خلال منهج الجماعة الإسلامية فى الدعوة وإقامة المجتمع الإسلامى نرى أن تنظيم الجهاد، حسب ما تسميه الحكومة، هو حركة تغييرية وليست حركة إصلاحية. ولكن التغيير هنا لا يعنى أننا نريد أن نقوم بانقلاب، فهناك فرق كبير بين التغيير والانقلاب. فالتغيير هنا يعنى تحويل المجتمع برمّته إلى الطريق الصحيح وهو الإسلام، أما الانقلاب فيعنى تغيير حاكمٍ بدلاً من حاكمٍ، إننا نريد إقامة الدولة التى تستمر حتى قيام الساعة، نريد دولةً إسلاميةً تسلك منهج الله سبحانه وتعالى وتهتم بالدرجة الأولى بالتربية والأخلاق .

ويمكن أن نقول هنا إن أى تغيير لابد أن يتم عن طريق القوة. تقدر تقوللى إن العالم عرف أى تغيير دون عنف. فلابد من العنف. ولكن العنف الذى نصدره تجاه الحكام هو جهاد، فكيف يكون الجهاد عنفاً. الجهاد هو أصل وليس فرع، فكيف يكون تشدداً أو تطرفاً. إننا حينما قتلنا السادات فرح الجميع، فرح الشيوعيون والناصريون والعلمانيون. كل التيارات الفكرية فرحت وسعدت بذلك. لقد كان قتل السادات مطلباً شعبياً، لأنه هو الذى حفر

قبره بيده، إن قتل السادات يعتبر رسالة إلى كل حاكم يأتى من بعده ويستبد ويطغى. إن قتلنا للسادات باعتباره أكبر رأس فى الدولة، لا يُعدُّ عنفًا ولا تطرفًّا، فنحن نعتبرها رسالةً وفريضةً .

لقد كنا على وشك أن نمسك بالحكم بعد أن قتلنا الطاغية. لقد كنا على مقربةٍ من التحكم فى المجتمع كله وفى الإذاعة والتليفزيون والإعلام كله. إننا أردنا إيجاد المجتمع الإسلامى، الذى هو إعادة لحكم الله فى الأرض الذى أصبح غريبًا عن دار الإسلام، التى تعد الآن دار الكفر والحرب. إن حربنا ضد المجتمع الكافر هى حرب ضد الحكام، ضد الأنظمة العلمانية الغربية، ولوجه الله تعالى .

إننا ننطلق من أن النظام الحاكم هو رأس كل خطيئة، وبالتالى لو تغير النظام، فإن حال هذا المجتمع سوف ينصلح، إن هدف الجماعة هو نفس الهدف من أيام نوح عليه السلام حتى قيام الساعة. إن هذا الهدف يتلخص فى تعبيد الناس لربهم، وإقامة الخلافة الإسلامية .

إنه من أجل ذلك نحاول الالتزام بآداب الإسلام، وندعو إليها من خلال اللقاءات فى المسجد والندوات والكتب التى توضح أهداف الجماعة. إننا نحاول إقامة الدولة الإسلامية ونطبق شرع الله. ولكن لن نفعل ذلك مثلما يحدث فى السعودية مثلاً، أى أن نقطع يد السارق الذى يسرق من أجل أن يعيش، ويوجد فى المقابل مجموعة من الناس تثرى ثراءً فاحشًا، وتحاول أن تبقى على هذه الأوضاع كما هى دون أدنى تغيير. إننا سوف نقيم العدالة أولاً ثم نحاسب الناس. إنه لكى تقوم الدولة الإسلامية سوف ننشر العدالة

الاجتماعية فى ربوع البلد حتى تكفل للناس الأمن والأمان والحرية وكل الخدمات، ولكن لن تقوم هذه الأمور إلا بما نسميه نحن بالتكافل الاجتماعى الذى نحاول أن ندعمه بيننا من خلال التمويل الذاتى .

وأحب أن أردَّ هنا على بعض الاتهامات الموجهة إلى الجماعة الإسلامية؛ ذلك الاتهام الذى يرى أن الجماعة الإسلامية تُدْعَم ماديًا من الخارج وخاصةً من إيران، وهذا كلام باطل، والدليل على ذلك أنهم لو قالوا هذا الكلام عن السعودية، أى أنها هى التى تمدُّنا بالمال، أو ليبيا وحاكمها صاحب الكتاب الأسود، أو أية دولة أخرى إسلامية، لسقط هذا الكلام منذ اللحظة الأولى، ولكن لن يجدوا إلا إيران لأنها النموذج الإسلامى الوحيد الثورى فى المنطقة، وذهبوا إلى أنها هى التى تدعمنا لأننا ننهج الثورة والعنف لتغيير المجتمع. ولكن أقول هنا استبعدوا إيران للأسباب الآتية :

أولاً : عدم وجود اتحاد فكرى، فإيران تسبُّ الصحابة ما عدا عليًّا كرم الله وجهه، وتسلك فى ذلك مسلكًا متطرفًا على عكس أية جماعةٍ إسلاميةٍ فى مصر .

ثانيًا : إن إيران خارجة من حرب وليس بها إمكانيات تستطيع أن تساعد أية جهة أخرى. لذلك هى عاجزة عن إمداد أية جماعة خارجها لأن داخل إيران مشاكل كثيرة .

لهذه الأسباب أقول أن لا إيران ولا غيرها تمدُّنا بأى تمويل، التمويل ذاتى من خلال أعضاء الجماعة، وما تقوم به الجماعة من مشاريع خيرية أو مشاريع اقتصادية بسيطة .

إننا فى هذا الشأن نعتمد على الله وعلى أنفسنا، نعتمد على المنهج الربانى الذى يزودنا بزاد تربوى وروحى يزيد كل يوم من إمكانياتنا. إننا نتلقى كل يوم مزيداً من المساعدات من الإخوة الذين ينتشرون فى كل مصر وفى كل قطاعاتها ومؤسساتها من الأعمال البسيطة حتى ضباط الجيش وأساتذة الجامعات. إنهم جميعًا يدعمون الجماعة لإعلاء كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله .

وأحب أن أوضح أنه مهما كانت مكانة عضو الجماعة فى المجتمع، فإنه عضو فقط. لا يعنى أنه إذا كان أستاذًا فى الجامعة، أننا نعامله مثل موقعه، إننا نعامله كأى عضو. أى أنه لابد أن يتّبع التعليمات التى تأتى من أمير الجماعة الذى هو بالتالى بمثابة ولى أمر وكلامه نافذ على الجميع. فالطاعة للأمير واجبة، إلا فيما يتصل بمخالفة أوامر الله «فلا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق» . ولكن لا يعنى ذلك أن كلام الأمير نهائى، فهناك مجلس شورى يتم فيه اتخاذ الأمر، ولكن نحن نعمل بما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة حديثه الذى يقول : «إن كنتم ثلاثة فأتمروا». وهناك أيضًا نائب الأمير الذى يخلف الأمير إذا غاب فى كل شئ. ثم هناك بعض الأعضاء الذين يتولون شئون الجماعة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية وحتى القتالية .

وفيما يتصل برأى صاحب هذه الحالة فى القضايا التالية، يقول إن خروج المرأة ممكن إذا كانت تتبع تعاليم الإسلام، وفى الزى الإسلامى، وفى المكان المناسب، وإذا كانت هناك ضرورة. وإذا كان الله سبحانه وتعالى

يحثُ على العمل والتعليم فيجب أن نهيِّئ لها المكان المناسب سواء فى العمل أو التعليم بعيداً عن المخالطة .

وعن الرأسمالية يرى صاحب هذه الحالة أنها دعوة لإقامة المجتمع المقسَّم إلى طبقات. والإسلام براءٌ من ذلك. وعن الشيوعية يقول لقد انتهت والحمد لله فى بلادنا، وهى منطق خاطئ شرعيًا .

أما عن الصلح مع إسرائيل فلن يتحقق، وإذا كان جزء منه قد تحقق، فلن يدوم طويلاً لأن الإسلام آتٍ، والإسلام لا يدعو إلى ذلك. إننا ننظر إلى فلسطين، وما دام هذا هو الهدف فلن تدوم إسرائيل طويلاً. قد يفوت عقد أو أكثر أو قد يكون قرنًا، ولكن الله يحدثنا أنهم سوف يتفرقوا كما تجمعوا وهذه حتمية سوف تحدث إن شاء الله .

وعن الديمقراطية، وعن إمكانية تحقيقها، يقول إن الديمقراطية فى بلادنا وهم وكذب وخداع طالما كانت بعيداً عن الإسلام ونستخدمها بأسلوب الغرب. هذه الكلمة غريبة عنا طالما لا تُقرن بأسلوبها الإسلامى الصحيح المتمثل فى الشورى والحرية والمساواة .

وفيما يتصل بتنظيم الأسرة فيرى صاحب الحالة أنه ليس حراماً، ولكن الحرام هو التحديد. إن العالم الغربى يريد أن يتحدد عدد سكاننا حتى لا نتفوق على إسرائيل. الهدف الرئيسى هو أن تتفوق إسرائيل علينا وتصبح النعمة التى أنعم الله علينا والتى سوف يتباهى الرسول بها يوم القيامة، منعدمة. إنهم يريدون لنا القلة حتى تكون الغلبة لإسرائيل ولهم .

الحالة الخامسة

من التعاطف الديني إلى الثورة

يرى صاحب هذه الحالة أن انضمامه إلى الجماعة الإسلامية كان عملية سرية تماماً، إذ كان يخفيها عن أسرته التى كانت تعارض مثل هذه الجماعات، والتي ترى أنها غير شرعية، وهى فى ذلك لا تختلف عن الرأى السائد فى المجتمع. ويقرر صاحب الحالة الراهنة أن تاريخ انضمامه يعود إلى عام ١٩٨٠ حين كان يعيش فى صعيد مصر قبل التحاقه بعمله الحالى فى عام ١٩٨٤. لقد قرر صاحب هذه الحالة أيضاً أن السبب الرئيس لانضمامه إلى الجماعة الإسلامية تحديداً يرجع إلى نشاط المسيحيين فى دعوتهم التبشيرية للمسيحية ورغبتهم الرئيسية بالاستقلال بالصعيد لإقامة دولتهم. ويقول فى ذلك «إننى أثناء إقامتى فى أسيوط رأيت رأى العين كيف أن المسيحيين غيورون على دينهم ويعملون على إقامة دولتهم.. رأيتهم يخزنون السلاح، ويحاولون استمالة المسلمين الفقراء لكى يستنصروا، رأيت الدين وهو يجذب الناس ويحاول تخريب عقولهم، ويمدهم بالفلوس علشان يغيروا ملتهم» .

إن هذا العمل هو الذى دفع صاحب هذه الحالة إلى الانضمام إلى الجماعة الإسلامية من أجل محاربة هؤلاء، وبهدف ابتغاء مرضاة اللّه. لقد التحقت بهذه الجماعة من أجل تعبيد الناس ومحاربة من يحارب شرع اللّه، بهدف إقامة أركان الإسلام كما أوصى اللّه سبحانه وتعالى. ويضيف صاحب هذه الحالة أنه فى بادئ الأمر لم يكن يوجِّه حقده أو عداءه إلا للمسيحيين، وبعد ذلك بدء يوجِّه عداءه إلى الدولة التى تسمح لهم بالانتشار وتقبل الهدايا والعطايا من الخارج. إن علاقة الدولة مع الأمريكيين تعنى علاقة التبعيَّة التى سمحت بانتشار مثل هذه السلوكيات التى تشجعها الكنيسة. الكنيسة لها نشاط واضح فى الصعيد، فهى دولة داخل الدولة .

إن ممارسـات الحكومة ضد الدين هى التى جعلت الجماعات الإسلامية تنتشر فى مصر. إن الشباب المسلم بدأ يدخل أفواجًا إلى الجماعات الإسلامية وخاصةً تنظيم الجهاد عندما بدأ الفساد يدب فى الحكومة. لقد انتشـرت الجماعات الإسـلامية فى كل مكان : فى المصانع والمدارس والجامعات وكل الوظائف. وهذا لا يرجع لأن الفساد يسود فى المجتمع فقط؛ أو أن الشباب يهرب من المجتمع مثلما يزعمون، ولكن لأن الشعب المصرى بطبيعته شعب متدين، وهو دائمًا ينشد الجماعة، ودائمًا ما يستجيب لندائها. إن معارضة الدولة لانضمام الشباب إلى الجماعات الإسلامية خوفًا من حدوث الدولة الإسلامية أو قيامها، قد جعلها توجه العنف إلى كل من ينتسب إلى الإسلام .

والحقيقة أن كل عنف يقابله عنف مضاد. فعنف الحكومة هو السبب فى أن جماعتنا ترد عليها. هذا بالإضافة إلى أنها تريد أن تلغى شرعيتنا

التى تنبع من الإسلام. إن العنف الذى نوجهه ضد الحكومة هو الذى جعل الحكومة تصفنا بالتطرف، أى الخروج عن نظام القانون القائم. إن التطرف فى نظر الحكومة هو ارتكاب أفعالٍ مخالفةٍ لشرعيتها. ونحن نرى أن الدولة تخالف شرع الله لذلك فهى فى نظرنا متطرفة فما هو فيها تريد أن تصفنا به. ونحن لأننا نريد شرع الله ونسير وفق الشريعة الإسلامية، فلا نرى أننا متطرفون «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا» .

«ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك...». أى أن الحكومة تعتبر ممن لا دين لهم، لا يحكمو بما أنزل الله؛ لذلك هى فى شرعنا بعيدة عن الإسلام. الجماعة تريد الدولة إسلاميةً تحكم بما أنزل الله وتطبق الشريعة الإسلامية. إن اعتراضنا على الحكومة وعلى قوانينها الوضعية والتى تبتعد عن الإسلام هو الذى يجعلنا فى نظرها ونظر الناس البسطاء متطرفين. كلا ورب السموات والأرض إنهم هم الطاغون والفاسدون .

إنــه ينبغى تطبيق الشريعة الإسلامية لإقامــة الحكومـة والخلافة الإسلامية.. إننا نريد خلافةً إسلاميةً لا ترضى بغير شرع الله. إن إقامة الخلافة الإسلامية سوف تُنهِض المجتمع وتجعله يتقدم على كل المجتمعات .

إن أهداف جماعتنا تتلخص فى إقامة شرع الله على أرضه، وذلك من خلال الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، سواء باليد أو بالقلب أو باللسان.

ويرى صاحب هذه الحالة أن لكل جماعة من الكائنات الحية تنظيم

معيَّن من حيث تدرج المكانات. فعلى سبيل المثال نجد الطيور لها قائد يقودها فى الطيران، وفى النمل والنحل نجد أن لهم قائدًا فسبحان الله. كيف يكون ذلك للطيور والحيوان وكيف لا يكون للإنسان الذى كرمه الله حتى على الملائكة. إن الجماعة الإسلامية يتمثل قائدها فى الأمير العام للجماعة الذى تكون له الطاعة والاحترام، الذى يطيعه جميع الأعضاء ويلتزمون بأوامره. وتنظيم الجماعة يبدأ من الأمير ويأتى بعده نائب الأمير، ثم بقية الأعضاء المسئولين عن التخصصات المختلفة، ثم الأعضاء العاديون. ودائمًا ما يتم الاتصال بين تنظيم الجماعة داخل المسجد أو حسب الظروف التى غالبًا ما تتجمع وفقًا لها .

وبالنسبة لتمويل الجماعة يرى صاحب هذه الحالة، أن تمويل الجماعة يكون من الأعضاء المشتركين فى الجماعة. أما ما يقال عن أن هناك أموالاً تأتى من إيران أو العراق - أو أى بلدٍ آخر - للقيام بالتخريب فهذا باطل، لأن أعضاء الجماعة الإسلامية ليسوا مخرِّبين، ولا يشكلون عصابةً للإرهاب أو القتل أو التدمير «إنهم فتيةٌ آمنوا ربهم».. إنهم يعملون على إقامة شرع الله فقط .

هل إقامة شرع الله يعتبر موقفًا معاديًا من الحكومة. إننا نعادى فقط الجاهلية، نعادى الحكم الفاسد الذى يبتعد عن الإسلام، الإعلام الفاسد الذى يصوِّرنا دائمًا بالتخريب والتطرف والتدمير. إننا نحاول أن نموِّل ذاتنا من خلال إقامة شرع الله.. شرع الله فقط. لذلك لا نقبل من أية دولة مهما كان وضعها أن تمدَّنا بالمال حتى لا نكون أسرى لموقفها من مصر .

أما موقف صاحب هذه الحالة من إسرائيل والصلح معها، فهو يرى

أن إسرائيل مجتمع فاسق لا يصلى ولا يصدق، ويكذب، ويعيش على أمن شعب آخر، ولا يعرف الشفقة، ولا يعرف الوفاء بالعهد، فهم شعب ناقض للعهد منذ أيام الرسول صلى الله عليه وسلم، ويقولون مالا يفعلون، فالجماعة ترى أن إسرائيل هى ألدّ أعداء الإسلام ويجب قتالها .

أما الموقف من المرأة وتعليمها وخروجها للعمل، فهو يرى أن مكانها ومملكتها هو المنزل لأن خروجها فتنة، وأن الإسلام حرم الاختلاط الذى دنّس أفسد كل نواحى الحياة. فالإسلام كرّم المرأة ومنحها كل حقوقها لا لشئ إلا لصيانتها، لأنها أساس المجتمع. فخروجها جاهلية. أما بالنسبة لتعليمها فنحن مع ذلك ولكن فى إطار ما يسمح به الإسلام.

وعن تنظيم الأسرة فيقول إنه ليس حرامًا، وإنما التحديد هو الحرام وقد أجمع العلماء على ذلك. وفيما يتصل بموضوع الرأسمالية والشيوعية ذكر أن الخوض فى هذين الموضوعين هو بُعد عن الإسلام لأنهما ضد الإسلام. أما عن الديمقراطية فيرى أنه مفهوم غربى يبعدنا عن قضايا الإسلام، لذلك لابد أن نتحدث عن قيم ومفاهيم الإسلام فقط .

الحالة السادسة

من أزمة المجتمع إلى التراث

يرى صاحب هذه الحالة أنه التحق بالجماعة الإسلامية فى عام ١٩٨٩، وذلك من خلال أحد الأصدقاء الذى أرشده إلى هذه الجماعة. لقد انضممت إلى الجماعة لأننى رأيت فيها الإخلاص لوجه الله تعالى، والعمل من أجل نصرة الإسلام. إنها الهداية والرشاد. إن فكر الجماعة وسلوكها يتطابق مع الكتاب (القرآن) والسُنة (سنة الرسول عليه الصلاة والسلام وأتباعه الصالحين) .

إن انضمامى إلى الجماعة الإسلامية عرّضنى لكثيرٍ من السوء خاصة من أسرتى، التى وقفت ضدى بشدة فى هذا، وأنا أعذرهم فى ذلك، لأنهم كانوا يخافون علىّ من بطش الحكم. هذا من جانب، ومن جانب آخر أنهم كانوا ينظرون إلىّ وإلى أمثالى بأننا متطرفون .

لقد كنت مثل كثيرٍ من الشباب (قبل الانضمام للجماعة الإسلامية) أصلّى مرةً ولا أصلى الأخرى، وكنت ألعب الكرة وأمارس هواياتى كلها،

حتى معاكسة البنات. كنت أتكلم مع فلان وأترك الآخر، وأحب هذا، وأكره ذاك. وكانت لدىّ فكرة الثأر الدائم لنفسى خاصةً إذا اعتدى علىّ أىّ شخص. كذلك كنت أشاهد باستمرار التليفزيون حتى فى أيام الامتحانات، وكنت أقرأ الصحف الحكومية، وكانت عندى فكرة مغلوطة، هى أن الأحزاب الأخرى تريد أن تأخذ الحكم وهى غير راضية عن النظام الحاكم. «وفى هذه الفترة لم أكن راضيًا عن الحكومة، ولم أكن استطيع أن أرجع كل الأمور إليها، فمثلاً فى بلدنا نجد الجمعية الزراعية تأخذ فلوسنا اللى زرعنا بها تحت بند الخدمات اللى قدمتها لنا مثل الرى والمقاومة، أو أنك متقدرش تأخذ السماد أو البذور منها إلا بالواسطة» .

كل هذه الأمور كانت فى أواخر العام الأول لى بالكلية. وعندما سمعت كلامًا طيبًا عن الإسلام من أحد الأصدقاء، وأن فيه الخلاص من كل آفات المجتمع، وصلاحًا للأفراد، فقد بدأت فى قراءة الكتب الإسلامية التى فيها ترغيب للإسلام. ثم بدأت أتصل ببعض الأخوة فى الجماعة الذين زارونى فى منزلى فيما بعد، ثم قدموا لى بعد ذلك بعض المساعدات التى أعانتنى على استكمال دراستى .

ومنذ ذلك الوقت الذى رأيت فيه كيف يتكاتف المسلم مع أخيه المسلم، وأنا ملتزم بمنهج الجماعة وفكرها وأسلوبها فى الهداية. لقد انضممت إلى هذه الجماعة فى كل شئ تعمله. فأنا أحضر لقاءهم الأسبوعى المعتاد فى المسجد، واللقاءات الشهرية والاعتكافات السنوية، وكذلك أدعو الشباب من أجل انضمام المزيد منهم للجماعة. لقد حفظت القرآن كاملاً أثناء فترة وجودى داخل الجماعة، مع العلم أننى لم أكن أحفظ منه شيئًا .

وأحب أن أضيف أن هناك مجموعةً من الأشياء تجعلك تنضم إلى الجماعة، أهمُّها أن الجماعة الإسلامية – وخاصةً عن طريق أميرها – تقوم بمساعدة الطلاب. فعلى سبيل المثال يقوم الأمير بشرح واستذكار الدروس فى المسجد. الدروس التى نأخذها سواء فى المدرسة أو حتى فى الكلية، كان الأمير له أسلوب بليغ فى شرح الدروس، كما أنه حببنا فى سُنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ألا وهى سُنة صوم يوم الاثنين، وقد كان يقيم إفطارًا خاصًا فى هذا اليوم لمجموعة الشباب الصائمين. إنه كان يُرَغِّب فى كل شئ يقربنا من الله ورسوله .

لقد كان هذا الأمير – وما زال – يتمتع بحب الجميع، فهو قوى الشخصية، وأنه فذ فى العلم – ما شاء الله – وأنه يعمل بإخلاص من أجل الدعوة الإسلامية، كما أنه يعمل لترغيب الشباب فى الإسلام، ويُرهِّبهم دائمًا من البعد عن الإسلام الذى فيه الضلالة والنار والهلاك .

إننى من خلال انضمامى إلى الجماعة الإسلامية أستطيع أن أقول لك إن أهداف الجماعة هى السير على الكتاب والسُّنة والخلف الصالح وتطبيق حكم الله فى الأرض. ليس هدف الجماعة الحكم، ولكن هدفها انتشار العدل. أما موضوع الخلافة التى نسعى إليها، فأنا أقول إن الجماعة الإسلامية والجهاد هما وجهان لعملة واحدة. وهدفنا أن تندمج الجماعات كلها تحت جماعةٍ واحدةٍ وأميرٍ واحدٍ. ولكن فى الوقت نفسه لا نكفِّر أحدًا «من قال لأخيه يا كافر، فقد باء بها أحدهما». ولكن لنا موقف من الحكومة التى تحكم بغير شرع الله، والتى بدَّلت الزكاة بالضريبة. إننا نرى أن نظام الحكم لن ينصلح، وأن المجتمع لن يتبدد الفساد فيه إلا بالرجوع إلى الله .

إن الجماعة الإسلامية تسعى إلى إقامة شرع الله، وإقامة الخلافة الإسلامية، ليس فى مصر كلها فقط ولكن فى العالم العربى، وذلك لمواجهة الطغاة وإقامة الشريعة الإسلامية، والقضاء على الانحلال الأخلاقى الذى نعيش فيه، ومواجهة المشكلات التى تواجه الشباب المصرى، والتى تعوق بينه وبين دينه. والحقيقة أن الجماعة تستطيع تحقيق مجموعة الأشياء هذه من خلال الدعوة لكتاب الله وسُنة رسوله، والنهى عن المنكر والأمر بالمعروف «وقل ادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة» .

ويرى صاحب هذه الحالة أنه لكى تنقضى كل المشاكل التى يواجهها المجتمع المصرى لابد من إقامة الخلافة والشريعة الإسلامية. أىُّ نظام حاكم لا يقيم شرع الله ويسعى إلى تعطيلها فهو نظامٌ غير عادل وبالتالى فهو باطل. إن الجماعة الإسلامية ترى أن أىَّ نظام غير النظام الإسلامى هو نظام كافر ويجب تدميره نهائيًا. ومن أجل هذا تعارضنا الدولة لأننا جنود الله الذين نسعى إلى تبديل النظام الكافر، ولكن أحب أن أعرِّفك أن معارضة الدولة لنا تزيد من تمسكنا بالجماعة وغايتنا .

إننا لا نقف فى وجه رؤوس الدولة فقط، ولكن نقف أيضًا فى وجه سياستها وخاصة الإعلامية التى تحاول أن فلنا بعيدًا عن الله وشريعته التى ارتضاها لعباده فى الأرض. لذلك نحن لنا موقف من هذه السياسة الإعلامية ونحاول أن نقدم البديل الذى يتمثل فى الخطب الإسلامية والدروس والندوات. وهذه الأشياء تعتبر وسائل اتصال بين أعضاء الجماعة حيث إنها تتم فى المسجد أو فى أماكن الاعتكافات. ويضيف صاحب هذه الحالة :

أحب أن أعرِّفك أن أهداف الجماعة ليست كما يقول الإعلام أنها تسعى إلى تخريب المجتمع. ولكن أهدافها تتلخص فى أن الله غايتنا

والرسول زعيمنا والقرآن دستورنا والجهاد سبيلنا والموت فى سبيل الله أسمى غاياتنا. إن تطبيق الشريعة الإسلامية والعمل بالكتاب والسُنة وإقامة الخلافة الإسلامية على منهاج النبوة هى كل شئ، ولا شئ بعدها .

أما عن تنظيم أو شكل الجماعة، فيرى صاحب هذه الحالة أن أمير الجماعة هو قائد الجماعة، وهو المسئول عن تطبيق سياسة وأهداف الجماعة التى ذكرتها من قبل. فالأمير هو القدوة، ثم يأتى بعد ذلك نائب الأمير، الذى ينوب الأمير فى كل شئ إذا غاب، ثم يأتى بعد ذلك مساعدى الأمير فى كل محافظة، والذين يتخصصون فى أحد الأمور مثل الاقتصاد وغيره .

أما فيما يتعلق برأى صاحب هذه الحالة فى بعض القضايا، فيرى أنها كلها تتعلق بالاقتصاد. ولما كان المجتمع المصرى يحلل الرِّبا ويتوعد من يعمل بالاقتصاد الإسلامى، فإن الله سوف يفعل بنا أكثر من ذلك. ليس أزمةً واحدة، ولكن أزمات متعددة. إنها حرب بين الله وعباده ولكن لمن ستكون الغلبة : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقِى من الربا إن كنتم مؤمنين، فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من اللّه ورسوله، وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون) .

فماذا تتوقع بعد هذه الآية لاقتصادٍ يحارب الله ورسوله. أما رأيه فى التعليم، وخاصة الفتيات، فيرى أنه لابد وأن يأخذ من الإسلام. ففضل الإسلام على العلم والعلماء كبير. لماذا نترك الإسلام ونتجه إلى أعدائه. أما خروج المرأة فإنه يرى أنها خطيئة كبرى، وأنها من فعل الأعداء، شجعوها على الخروج من منزلها حتى يخرب المجتمع وتنتهى الأخلاق الإسلامية الأصيلة وتنتشر المفاسد العظمى .

أما موقفه من الصلح مع إسرائيل فيرى أن الجماعة الإسلامية

ترفض الصلح مع إسرائيل والمهادنة مع اليهود، فهم لا عهود لهم ولا صلح معهم. والإنسان العاقل ذو العقلية المتطورة فى إطار الإسلام لا يستطيع أن يسلم لهم لأنهم خانوا من قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عهدهم معه. فكيف يحفظون عهدهم معكم. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فاليهود استولوا على أرض المسلمين، وقد أجمع العلماء على أنه إذا اعتُدى على أىّ شبرٍ من أرض المسلمين وَجَبَ الجهاد، وكان فرض عينٍ على كل مسلم كى تُرد الأرض المسلوبة .

أما رأيه فى قضية التفاوت الطبقى الذى يشهده المجتمع المصرى الآن، فيرى أن هذه القضية يمكن حلها من خلال الإسلام، من خلال كتاب الله سبحانه وتعالى. فعلى سبيل المثال يمكن حل مسألة التفاوت من خلال «الزكاة» حيث جعلها الإسلام حقًا للفقير على الغنى يأخذه منه فى موعده حتى يستطيع أن يقاوم متطلبات الحياة المستمرة. إن ركن الزكاة يعتبر نوعًا من العدل الاجتماعى الذى به يأخذ من الغنى ليعطى للفقير. وهناك أيضًا ما يسمى بالتكافل الاجتماعى الذى يطبق حتى تقرب الفجوات بين الناس .

أما موقفه من قضية الديمقراطية فيرى أنها غير موجودة هنا، وإن كانت تعني حكم الشعب بالشعب، والآن نرى حكم الشعب بالأجانب .

أما الرأسمالية والشيوعية فيرى أنها مخالفة للإسلام ولا يحق الحديث عنها .

* * *

مما سبق يمكن القول إن الأساس الفكرى والنظرى للجماعة الإسلامية (التيار الجهادى) ذلك التيار الذى ظهر فى أوائل السبعينيات، وأظهر موقفًا معارضًا من النظام السياسى، يتمثل فى العودة إلى الأصول وإقامة الدول الإسلامية. إن الجماعة الإسلامية تُعدُّ من الجماعات الدينية

الأصولية التى تسعى إلى إحياء ما يسمى بالخلافة الإسلامية أولاً، ثم تعبيد الناس لربهم ثانيةً، وأن العنف طريق واحد ووحيد لبلوغ هذا الهدف .

ويهم أن نوضح أن حركة الإحياء التى تقوم بها الجماعة الإسلامية ما هى إلا نتاج لمجموعةٍ من العوامل والظروف الاجتماعية التى خبرها المجتمع المصرى، فضلاً عن العلاقة بين النظام السياسى (السلطة) وبين هذه الجماعة. إن مجموعة الممارسات الدينية التى أتت بها الجماعة الإسلامية تتباين عن الممارسات الدينية الأخرى سواء الرسمية منها أو غير الرسمية. فبدلاً من الوعظ الدينى، جاءت هذه الجماعة بما يسمى بالوعظ الدينى «السياسى» الذى يهدف إلى تثوير الواقع، وتهديم النظام الحاكم «الكافر» وإقامة الدولة الإسلامية. إن الوعظ الدينى «السياسى» الذى تقدمه الجماعة الإسلامية ما هو إلا نوع من الاحتجاج على القيم السائدة، أو بالأحرى هو نوع من الصراع الطبقى بين الفئات الوسطى والفقيرة وبين النظام الحاكم «الدولة» .

وإذا كان هناك من يرى أن الحركات الدينية المعاصرة تنبع من الحدود الهامشية للطبقة الوسطى التى تسكن فى الحضر [١]، فإن مجموعة

---

(١) يختلف طرحنا هنا للأصول الاجتماعية لأعضاء الجماعة الإسلامية عمّا توصلت إليه بعض الدراسات الأخرى. فى ذلك يمكن الرجوع إلى :

– رفيق حبيب، الاحتجاج الدينى...، مرجع سابق، ص ١٣٦ .

– سعد الدين إبراهيم، مصر تراجع نفسها...، مرجع سابق ص ٢٦ .

- Ibrahim S . E . , Anatomy of Egypt's Islamic Militant Groups: Methodological Note and preliminary findings , the Midd le east studies Association Meeting , washington D . C , November 6 - 9 , 1980 .

الحالات التى عرضنا لها قبل قليل توضح أنها تمثل الطبقة الدنيا والوسطى بشرائحها الفقيرة التى تعيش فى المدينة ولها أصول ريفية (أنظر الجدول التالى) .

جدول يوضح الحالة الاجتماعية والعملية لعينة الدراسة.

م	السن	النوع	الموطن	المؤهل	العمل	الحالة	مهنة الوالد
١	٢٧	ذكر	إمبابة	دبلوم معلمين	مدرس ابتدائى	أعزب	ملاحظ
٢	٢٠	ذكر	الفشن (بنى سويف)	طالب بكلية التربية		أعزب	ميكانيكى فلاح
٣	٢٣	ذكر	أبشواى (الفيوم)	بكالوريوس هندسة	لايعمل	أعزب	موجه ثانوى
٤	٣٠	ذكر	الفيوم (الفيوم)	مؤهل فنى متوسط	مساعد مهندس	أعزب	تاجر
٥	٢٥	ذكر	الغمراوى (بنى سويف)	بكالوريوس تربية	مدرس ثانوى	متزوج	
٦	٢٥	ذكر	الفيوم	بكالوريوس زراعة	مهندس زراعى	أعزب	مدرس فلاح

إن الموقف فى مجمل الجدول السابق نستطيع أن نستدل منه على ما يلى :

أولاً : أن أعضاء الجماعة الإسلامية من الفئات الشابة التى تنحصر أعمارهم بين العشرين عاماً والثلاثين. أى أنهم من الفئات التى تتمتع بقدر كبير من الإحباط من القيم الاجتماعية السائدة التى دفعتهم إلى الانضمام إلى هذه الجماعة والانسحاب من المجتمع .

ثانيًا : يغلب على أعضاء الجماعة الإسلامية أنهم من الفئات الحاصلة على قدرٍ كبيرٍ من التعليم، إذ يتدرجون من المؤهلات المتوسطة والتعليم «الفنى»، حتى الحصول على الشهادات الجامعية (بكالوريوس الهندسة، والزراعة) .

ثالثًا : يأتى أعضاء هذه الجماعة من الشرائح الدنيا للطبقة البينية (الوسطى) (صغار التجار - والمدرسين)، فضلاً عن بعض الفئات الدنيا (ملاحظ ميكانيكى، فلاح) المهمّشة .

رابعـًا : تنحدر أصول أعـضاء الجماعة الإسـلامية من المناطق الهامشية للحضر وكذا المناطق الريفية، تلك التى تتناقض ظروفها الحياتية مع ما هو قائم فى المناطق الحضرية (١) .

---

(١) هناك تشابه واضح بين خصائص أعضاء الجماعة الإسلامية «تنظيم الجهاد»، التى تتصف سلوكها بالعنف. فى ذلك انظر :

- Guenena N ., the (jihad) : An Islamic Alternative in Egypt, Cairo papers in social science, N. Z. , sept. 1986 .

إن النظرة المدققة لخصائص أعضاء الجماعة الإسلامية يمكن أن تدلنا على أنهم من الفئة الجيلية التى تشكلت وفق ظروف اجتماعية معينة ساهمت فى خروجها على النظام القائم، كما أن هذه الظروف - خاصةً المتصلة بالسلطة البطركية - أبرزت عدم استقرارها ورفضها للتكيف مع المجتمع. وإذا كان الفاعل الثورى فى الأدبيات الماركسية يتمثل فى الطبقة العاملة، فإننا هنا، وفقًا للمدرسة النقدية، نجد أننا إزاء قوة ثورية تتمثل فى الشباب. بمعنى آخر، إنه إذا كانت البروليتاريا هى القوة المؤهلة للثورة ضد القوى الرأسمالية، فالشباب هنا هم القوة الثورية فى مواجهة السلطة البطريركية. إن الشباب فى مثل هذه المجتمعات هم أكثر الفئات الرافضة لتعديل هذا النموذج، ويرجع هذا فى تصورنا إلى إدراكهم لطبيعة التفاعل الاجتماعى والأيديولوچى السائد .

لقد سمح للفئات الشابة من أعضاء هذه الجماعة ممارسة العنف فى إطار ما هو مقدس (الدين) لتحقيق الذات وإثبات الهوية. فكما يرى البعض، وتوضح بعض الدراسات «أن تحقيق الذات كدافع إنسانى يتم إشباعه من خلال ممارسة النشاط الدينى، حيث لا يوجد ارتباط بين الانخراط فى هذه الممارسات، وبين إشباع الدوافع إلى تحقيق الذات.... ويتضح من ذلك، لماذا تنشأ حركات دينية خارج المؤسسة الدينية... خارج الجامع... فجزء من دوافع الإنسان غير المشبعة فى حياته الهامشية هو الدافع إلى تحقيق الذات وإثبات الوجود، ولكن الانخراط فى المؤسسة الدينية الرسمية لا يتيح للفرد تحقيق وجوده وذاته. فالمؤسسة الدينية ترتبط حاليًا بالطبقة الوسطى، أى أن المؤسسة الدينية تتجه تدريجيًا للمحافظة على ما حققته، وما حققه

أعضاؤها .. ولم تعد إذن مؤسسةً ثوريةً تعمل على التغيير، وبالتالى لا يحدث تقابل بين طبيعتها وطبيعة الجماعات الهامشية. فالأخيرة تتميز بالدافع إلى المغامرة والرغبة فى التغيير والثورة، لأنها مدفوعة إلى تغيير الواقع الذى يرفضها، فى حين تحاول المؤسسة الدينية المحافظة على هذا الواقع، لأنه يمثل مكاسب استطاعت تحقيقها. ومن هنا ينشأ التعارض بين الجماعة الهامشية والمؤسسة الدينية»(١) .

إن انضمام الشباب إلى الجماعة الإسلامية يعود فى تصورنا إلى عدم استيعاب هذه الأنماط فى إطار التضخم الحادث فى حجم الطبقة الوسطى، ناهيك عما أصابهم من الإحباط الاجتماعى والدينى والشعور بالهامشية التاريخية، أو قل إنها فئات بلا مستقبل. إن الدين بالنسبة لهؤلاء يُعد تعويضًا لهم عن هذه الأشياء وفى مقابلها حقد على المجتمع المسئول عما أصابهم .

إن الجماعة الإسلامية رغم سلوكها الراديكالى، وما تطرحه من تغيرات، إلا أننا نعدُّها جماعة عنف، فهى جماعة تطالب بتغيير النظام الحاكم عن طريق العنف، الذى يمثل لهم آليةً أساسيةً. والواقع أن العنف - كآلية - يعبر عن هوية الجماعة الإسلامية، وقد جاء نتيجة الفجوة بين ما تريد الجماعة تحقيقه وواقع المجتمع الفعلى .

---

(١) Meadow M. J . and Rehoe R. D., psychology of Realigion : Realigion in Individual, Harper and Row, New york, 1984.

نقلاً عن : رفيق حبيب، الاحتجاج الدينى....، مرجع سابق، ص١٤٠. يتفق هذا الطرح مع ما جاءت به نعمة جنينة فى بحثها عن تنظيم الجهاد، خاصة فى دور المؤسسة الدينية الرسمية التى تسعى إلى تأييد النظام القائم. انظر :

- Guenena N., the (Jihad), Op. Cit.

والمتطلع إلى فكر الجماعة الإسلامية يستطيع أن يكشف عن مدى رفضهم لمختلف ظروف المجتمع، حيث يكون الرفض مسئولاً بصفة رئيسية عن تحديد موقف هذه الجماعات. فمن خلال رفضهم للمجتمع الإسلامى، تسعى الجماعة إلى تأسيس مجتمع آخر يستند إلى الخلافة الإسلامية. وتمثل هذه الجماعة مراحل تكون الجماعات الإسلامية التى تبدأ من مواجهة الواقع ورفضه، إلى البحث عن المجتمع البديل. إن المجتمع البديل من وجهة نظر الجماعة الإسلامية يستمد أسسه وتكوينه من خلال القرآن وسُنة الرسوله صلى الله عليه وسلم(١) .

ومن خلال ذلك نستطيع أن نميز بين هذه الجماعة وغيرها من الجماعات الأخرى. فبينما ترى هذه الجماعة ضرورة إيجاد المجتمع الإسلامى البديل، وتلجأ إلى العنف كوسيلة لتحقيق أهدافها، فإن هناك جماعاتٍ أخرى ترى ضرورة تكوين هذا المجتمع، ولكن عن طريق الانعزال. أى أن الصراع السياسى يصبح فى الأولى واضحًا، بينما فى الثانية يتمثل فى الانسحاب من الواقع ولكن مع استخدام الألفاظ العنيفة خاصةً فى تكفير المجتمع .

ويكشف تحليل حالات الدراسة أن النص عند الجماعة الإسلامية هو المستند والأساس الفكرى لها، فمن خلاله يتم تحليل الواقع ورفضه، وتعاند

---

(١) هناك اتفاق واضح فى نفس الطرح والنتائج فى :

- چيلز كيبل، النبى والفرعون، ترجمة أحمد خضر، مرجع سابق، ص ١٢٧ .

- أمينة الجندى، التطرف بين الشباب : كيف يفكر قادة طلاب الجامعات المصرية، دراسة ميدانية، المنار (مجلة)، العدد ٥١، مارس ١٩٨٩، ص ٦٤ .

بــه النظــام الحاكــم وتهدده. فالفقه ســيد التاريخ وحاكمه. إن خطاب هــذه الجماعة يكشف عن وعى وإدراك للواقع من خلال النص، إذ يبرز عن «دوجماطيقا» عقلية ومرجعية تراثية متشددة من خلال الألفاظ لمخاطبة العقل الجمعى الانفعالى حسب تعبير دوركايم .

ويتضح من أفكار الجماعة الإسلامية أن وعيهم تشكّل وفق رؤيةٍ خاصةٍ للدين، تلك التى تجعل العضو مؤمنًا دوجماطيقيا «متشددًا» يفرض التعصب على الفكر والسلوك. إن تعصب أعضاء الجماعة الإسلامية يكشف عن وجود عقلٍ معطلٍ ووعىٍ مغلقٍ يبتعد تمامًا عن العقلانية. ولما كان عضو الجماعة يستند فى رؤاه على النص والتراث باعتباره الإطار المرجعى، فإنه وفق هذا النص يستند إلى أيديولوچيا تقف حائلاً أمام التفكير العقلانى وتســعى إلى تزييــف الوعى. إن الجمـاعة الإســلامية لا تضـع حدودًا فى انغلاقها الفكرى، فهى بهذا الفكر تخاصم الواقع وتتحداه، وتسعى إلى الإتيان بالنظام المحجوز «الدولة الإسلامية». إن العنف هنا يعنى أن هناك علاقة عدائية مع الواقع، علاقة مع الخروج عن الإسلام وفق تكييفه لهم، أى أنه عنف ضد أهل الحرب «الدولة» .

ويلاحظ أيضًا من خلال هذه الجماعة أن حركتها بعيدة كل البعد عن الجماهير الكادحة وخاصة المزيفة الوعــى، وأنها تتسامى عــن الجماهير، وبينها وبين الواقع انفصال واضح، كما أن خطابها يتسم بالطابع الأخلاقى والعاطفى والوعظى .

إن استخدام العنف من خلال الجماعة الإسلامية حولّها إلى تنظيمٍ سرّى، أو قُل إنها حركة سياسية أكثر من اعتبارها حركةً دينيةً. ويمكن فى

هذا الإطار أن نذهب إلى أن هناك ارتباطًا بين الجماعة الإسلامية والعنف الدينى على ما تتخذه الأجهزة الأمنية مع أعضاء التيار الجهادى. إن العنف من قبل الأجهزة الرسمية، هو الذى ولَّد العنف ضدها، وجعلها تتخارج من النظام القائم، وتدخل أو تتمازج مع ما يسمى بالأصولية .

إن إحداث العنف إزاء نشاط وفكر الجماعة الإسلامية توضح أن الدين فى الوقت الراهن يُعدُّ أحد العناصر المهمة فى تفجير الحركات الاجتماعية. إن الدين وما ينتج عنه من عنف، يعتبر رد فعل مباشر وفورى للمشكلات الاجتماعية القائمة فى الواقع. لذا يمكن الدفع بأنه يُعدُّ أحد أشكال الصراع الطبقى المستند إلى الأصول والسَلَف كإطار أيديولوچى. إن العنف الدينى الذى يطلق عليه الجهاد هو فرض عين من وجهة نظر الجماعة الإسلامية، وهو أداتها من أجل إقامة الخلافة الإسلامية .

إن فكر الجماعة الإسلامية هو بمثابة رد فعل إسلامى أمام قُوَى وقيم التغريب بكل أشكالها، أو هى بالأحرى دفاع عن الذات أمام قيم العلمانية التى أخفقت أشكالها السياسية فى مصر منذ عام ١٩٥٢ حتى الآن. أو بمعنى آخر، أن الجماعة الإسلامية وفق أطروحاتها، تُعتبر ردٌّ فعلٍ ثقافى، أو رِدَّةٌ على كل الأيديولوچيات التى وفدت إلى مصر عن غير طريق الفكر الإسلامى .

خاتمة

نحو رؤية سوسيولوجية للعنف الدينى

إن دراسة الدين من خلال مفاهيم علم الاجتماع تشير إلى أن الدين يُعدُّ أحد موجِّهات الحركات الاجتماعية التى تسعى إلى تبديل المنظومة الاجتماعية الاقتصادية فى أى واقع اجتماعى، وذلك باعتبار الدين استجابةً لظروفٍ اجتماعية اقتصادية وسياسية وثقافية معينة. إن الدين وفق ذلك يُعَدّ من أهم الآليات لنقد الواقع القائم، ومن ثَمَّ فهو نوع من الصراع الطبقى .

ومن الأهمية بمكان أن نفرق بين الدين الرسمى وغير الرسمى. فالأول يسعى إلى تأبيد النظام الاجتماعى القائم، بينما الآخر يسعى إلى هذا النظام واستبداله بآخر يستند إلى التراث والسلَف. إن هذا النوع يعد حركةً ذات حنين للماضى يسعى إلى الهروب من المجتمع، أو الانسحاب من عذابات الحاضر إلى أمجاد الماضى، الأمر الذى يجعلنا نصفها بأنها ذات رؤية ماضوية تسعى إلى إعادة تنظيم المجتمع من خلال حركتها الجهادية «الثورية» .

وتعتبر الجماعة الإسلامية – من خلال رؤيتها – حركةً أصوليةً تطرح نفسها كبديلٍ عن الأيديولوچيات «الأرضية» التى عرفها المجتمع المصرى. لذا نجدها تطرح ذاتها بقوةٍ لتخليص المجتمع من السيطرة البطركية للدولة وتحولها إلى الشكل الإسلامى. إن بروز الجماعة الإسلامية، كحركة سياسية

ذات غطاء دينى، يوضح ما ينتاب المجتمع من أزمة وتناقض واضحيْن سواء على مستوى البنية التحتية أو على صعيد المستوى الفوقى .

إن النزعة السلفية التى تطرحها الجماعة الإسلامية تُعدُّ أحد الردود الفكرية والأيديولوچية المناهضة للنظام السياسى الحاكم فى مصر. ليس ذلك فحسب، بل هى أيضًا تعد ردًّا مباشرًا على ما أصاب المجتمعات الإسلامية من انهيار واضح. بمعنى آخر أن أرثوذكسية الجماعة الإسلامية تجعلها تتشابه مع الحركات الشعبية التى عرفها القرن الأول الهجرى، ولكن هذا التشابه يعتبر ناقصًا لأن فيه انفصالاً واضحًا عن الجماهير .

إن القطيعة مع الجماهير تعود - فى تصورنا - إلى مجموعة العقائد المتشددة التى تنتهجها الجماعة الإسلامية. فهناك انفصال واضح بين الفكر والممارسة، لذا يمكن وصفها بأنها جماعة سياسية دينية منكفئة على ذاتها .

إن الخطاب الدينى للجماعة الإسلامية يبتعد عن الذوات الفاعلة التى من شأنها أن تأتى بالنظام المحجوز (الخلافة الإسلامية). لذا يمكن القول عنه إنه مجرد أيديولوچيا تراثية لواقع اجتماعى حديث آخر. إن الخطاب الإسلامى ما هو إلا قناع يستر دوافع واتجاهات سياسية، أو بالأحرى هو نوع من الأيديولوچيا المستترة .

إن هذا النوع من الأيديولوچيا يُعدُّ محاولةً للربط بين قضيتى التاريخ والحاضر. إن الخطاب الإسلامى وفق هذا المعنى ما هو إلا مجموعة من الطقوس والقيم الإسلامية التى تسعى إلى البحث عن نموذج - غير موجود فى الواقع - مؤسَّس على شرع الله. أى أن هذا الخطاب ما هو إلا محاولة

لتشكيل وعى أو إدراك الواقع وفق رؤية عقائدية متشددة. وبغض النظر عن طبيعة وشكل الخطاب الإسلامى، فإن ما نريد أن نشدد عليه هنا أن هذا الخطاب بسحنته التى قدمناها، يعد نتاجًا لشروطٍ ماديةٍ وفكريةٍ ومجتمعيةٍ. فهو جاء من خلال مواقف تاريخية – اجتماعية تأثرت به وأثرت فيه. بمعنى آخر، إن هذا الخطاب لم يستطع أن يخرج إلى الوجود لولا ما شهده الواقع الاجتماعى فى مصر من تناقضات، خاصةً فى البنية التحتية وما تحويه من علاقات صراعية بين الطبقات الاجتماعية .

إن عملية إعادة إنتاج التفاعلات الاجتماعية بين أصحاب الخطاب الدينى وجهاز الدولة سمحت بالتعرف على وعى وفكر الجماعة الإسلامية. إن الجماعة الإسلامية وفق ذاتها المرجعية تدير حوارًا عنيفًا مع النظام الحاكم من خلال ما يسمى بالجهاد. إن الجهاد الدينى الذى تفرزه الجماعة الإسلامية هو نوع من الإصلاحات الثقافية والأخلاقية أكثر منه ثورة أو حتى انتفاضة بالمعنى السوسيولوچى .

إن الدراسة الراهنة تكشف عن أن أعضاء الجماعة الإسلامية من الفئات الشابة المتعلمة التى تجابه كمًّا هائلاً من الإحباطات الاجتماعية وأنهم ينحدرون من الشرائح الدنيا للطبقة الوسطى، الذين يقطنون المناطق الطرفية، كما أنهم يخضعون لتنظيم رئاسى متدرج يبدأ من الأمير العام للجماعة، ثم نائب الأمير، إلى أمراء المحافظات، ومسئولى التخصصات المختلفة (الاقتصاد، السياسة، التدريب القتالى... إلخ) .

إن الجماعة الإسلامية وفق كل ما قدمناه نعتبرها من جماعات العنف

التى تضفى على ذاتها نوعًا من القداسة، وتحت عباءة هذه القداسة تأتى مهمتهم الأساسية، ألا وهى تغيير النظام الحاكم. إن العنف؛ كإطار سياسى يوجه الجماعة الإسلامية، يكشف عن معاندتها للنظام الحاكم (الكافر حسب تعبيرها) ورفضها للواقع المعاش (دار الحرب) .

إن محاولات الإصلاح الثقافى والأخلاقى التى تقوم بها الجماعة الإسلامية من خلال ممارسات الوعظ الدينى السياسى تجعلنا نسلم مع أصحاب المدرسة النقدية بضرورة خلع الطبقة الثورية عن الطبقة العاملة، وأنه فى مواجهة المجتمعات التى تسودها السلطة البطركية فإن الشباب هم وقود الثورة ومحركها. إن هذه المقولة تجعلنا نعيد النظر فى تراث علم الاجتماع السياسى، خاصةً فى تأويله فى ضوء ظروف المجتمعات النامية .

المراجع والمصادر

أولاً- باللغة العربية :

١ - إسماعيل صبرى عبد الله (محرر)، الحركات الإسلامية المعاصرة فى الوطن العربى، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٨٧ .

٢ - المنصف وناس، الدين والدولة فى تونس ١٩٥٦ - ١٩٨٧ ، المستقبل العربى (مجلة)، العدد ١٣١، بيروت ١٩٩٠ .

٣ - أميليو لوسيو، نظرية الانتفاضة، ترجمة جوزيف عبد الله، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، د . ت .

٤ - أمينة الجندى، التطرف بين الشباب : كيف يفكر قادة طلاب الجامعات المصرية : دراسة ميدانية، المنار (مجلة)، العدد ٥١، مارس ١٩٨٩.

٥ - زكى على الربيعو، مدخل إلى ظاهرة العنف فى الخطاب السياسى السلطوى، الوحدة (مجلة)، السنة السابعة، العدد الثامن، يونيو ١٩٩١ .

٦ - چيلز كيبل، النبى والفرعون، ترجمة أحمد خضر، مكتبة مدبولى، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٨٨ .

٧ - حيدر إبراهيم على، ملاحظات أولية فى دراسة الأسس

الاجتماعية للظاهرة الريفية، المستقبل العربى (مجلة)، العدد ١٢٦، بيروت، أغسطس ١٩٨٩ .

٨ - ــــــــــــــ ، أزمة الإسلام السياسى : الجبهة الإسلامية القومية فى السودان نموذجًا، مركز البحوث العربية، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٩١ .

٩ - رفعت سيد أحمد، الدين فى الخطاب السياسى الناصرى، المنار (مجلة)، العدد السابع، السنة الأولى، القاهرة، يوليو ١٩٨٥ .

١٠ - رفيق حبيب، الاحتجاج الدينى والصراع الطبقى فى مصر، دار سينا للنشر، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٨٩ .

١١ - ــــــــــــــ ، الإحياء الدينى : ملف اجتماعى للقيادات المسيحية والإسلامية فى مصر، الدار العربية للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٩١ .

١٢ - سعد الدين إبراهيم، مصر تراجع نفسها، دار المستقبل العربى، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٨٣ .

١٣ - سليم نجيب، خواطر قبطية، الأقباط (مجلة)، العدد ٣، السنة السابعة، الولايات المتحدة الأمريكية، سبتمبر ١٩٨٠ .

١٤ - سمير نعيم أحمد، المحددات الاقتصادية والاجتماعية للتطرف الدينى، حالة مصر، المستقبل العربى (مجلة)، العدد ٣١، بيروت ١٩٩٠ .

١٥ - شحاتة صيام، التشكيلة الطبقية فى المجتمع المصرى : رؤية سوسيولوجية تاريخية، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٩٢ .

١٦ - صابر أحمد نايل، حول ظاهرة العنف الدينى، اليقظة العربية (مجلة)، العدد الرابع، القاهرة، مايو ١٩٨٨ .

١٧ - صلاح الجورشى، الحركة الإسلامية : مستقبلها رهينة التغيرات الجذرية، فى : عبد الله (النفيس محرراً)، الحركة الإسلامية : رؤية مستقبلية.. أوراق النقد الذاتى، مكتبة مدبولى، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٨٩ .

١٨ - عاطف العقله عضيبات، الدين والتغير الاجتماعى فى المجتمع العربى الإسلامى : دراسة سوسيولوجية، المستقبل العربى (مجلة)، العدد ١٢٦، بيروت، أغسطس ١٩٨٩ .

١٩ - عبد العليم محمد، ملاحظات نقدية حول دراسة الخطاب السياسى، المنار (مجلة) العدد السابع، السنة الأولى، القاهرة، يوليو ١٩٨٥.

٢٠ - عبد الله العروى، الأيديولوجيا العربية المعاصرة، دار الحقيقة، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٧٩ .

٢١ - على ليلة، الشباب فى مجتمع متغير : تأملات فى ظواهر الإحياء والعنف، مكتبة الحرية الحديثة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٩٠ .

٢٢ – فرج فودة، التطرف الدينى السياسى فى مصر، فكر (مجلة)، العدد ٧، القاهرة، نوفمبر ١٩٨٥ .

٢٣ – فؤاد زكريا، الحقيقة والوهم فى الحركة الإسلامية المعاصرة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٨٦ .

٢٤ – ________، مستقبل الأصولية الإسلامية، فكر (مجلة)، العدد الرابع، القاهرة، فبراير ١٩٨٥ .

٢٥ – محمد أحمد بيومى، علم الاجتماع الدينى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٨١ .

٢٦ – ________ ، ظاهرة التطرف : الأسباب والعلاج، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٩٢ .

٢٧ – محمد أركون، الفكر العربى، ترجمة : عادل العوا، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ١٩٨٢ .

٢٨ – ________ ، الفكر الإسلامى : قراءة علمية، مركز الإنماء العربى، بيروت ١٩٨٧ .

٢٩ – محمد حافظ دياب، سيد قطب : الخطاب الإسلامى والأيديولوجيا، دار الثقافة الجديدة، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٨٧ .

٣٠ – محمد مورو، تنظيم الجهاد، جذوره وأسراره، الشركة العربية الدولية للنشر والإعلام، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٩٠ .

٣١ – محمود أمين العالم، الدين والسياسة، قضايا فكرية، الكتاب الثامن، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، أكتوبر ١٩٨٩ .

٣٢ – مراد وهبة، الأصولية والعلمانية فى الشرق الأوسط، المنار (مجلة)، العدد ٤٩، القاهرة، يناير ١٩٨٥ .

٣٣ – مهدى عامل، نقد الفكر اليومى، دار الفارابى، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٧٨ .

٣٤ – نبيل عبد الفتاح، المصحف والسيف : صراع الدين والدولة فى مصر، مكتبة مدبولى، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٨٤ .

٣٥ – هالة مصطفى، الإسلام السياسى فى مصر : من حركة الإصلاح إلى جماعات العنف، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، الأهرام، القاهرة ١٩٩٢ .

٣٦ – هشام شرابى، البنية البطركية : بحث فى المجتمع العربى المعاصر، دار الطليعة، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٨٧ .

٣٧ – هناء الجوهرى، الأعمال الإضافية غير الرسمية لدى العاملين بالحكومة، تحليل سوسيولوچى للظاهرة وعلاقتها بعملية التنمية فى المجتمع المصرى، رسالة ماچستير «غير منشورة»، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٨٩ .

ثانيا - باللغة الاجنبية :

1- Dekmejian R. H. , Islam in Revolution : fundomentalism in the Arab world , Syracuse univ . press , 1982 .

2 - Guenena N., the (Jihad) : An Islamic Alternative in Egypt, Cairo papers in social science , N. Z., Sept ., 1986 .

3 - Ibrahim S. E., Anatomy of Egypt's Islamic Militant Groups : Methodological Note and preliminary findings , the Midd le east studies Association meeting, Washington D. C, Nov . 6 - 9 , 1986 .

4- Meadow M. J. and Rehoe R. D., Psychology of Realigion : Realigion in Endividual Lives , Harper and Row , New york , 1984 .

الفهرس

العنف والخطاب الديني في مصر

ظاهرة العنف إحدى الظواهر التاريخية، وشكل من أشكال التمرّد الاجتماعى، وإحدى أهداف الأيديولوجيا، لترسيخ قيم معينة فى الواقع السياسى والاجتماعى.

وتعاظم العنف من قبل الجماعات الدينية فى المجتمع المصرى، هو نوع من الأيديولوجيا التى تحاول أن تعيد إنتاج العلاقات الاجتماعية وصياغة التغيير الاجتماعى.

والإسلام السياسى بوصفه استجابة لظروف اجتماعية اقتصادية سياسية وثقافية معينة ، هو أحد موجّهات الحركات الاجتماعية التى تسعى إلى تبديل المنظومة الاجتماعية .

من خلال رؤية سوسيولوجية لظاهرة العنف المتنامى يرصد الدكتور شحاته صيام مفردات خطاب الجماعات الدينية التى تنوب عن الجماهير ، محاولةً تشكيل وعى وإدراك الواقع وفق رؤية متشدّدة تربط بين التاريخ والحاضر. هذا الخطاب الذى نما عبر واقع اجتماعى متناقض
البنية التحتية، وما تتضمنه من علاقات صراعية بين الطبقات الا



الغلاف: منير الشعراني